رواد الاستثمار

٤

عبد اللطيف أبو رجيلة

"إمبراطور الأتوبيس"



LMDC

مركز إعداد القادة لإدارة الأعمال - وزارة الاستثمار



سلسلة رواد الاستثمار

عبد اللطيف أبو رجيلة

إمبراطور الأتوبيس

مصطفى بيومى

مقدمة

إن الاقتصادى المصرى الكبير عبد اللطيف أبو رجيلة من علامات الحياة الاقتصادية فى بدايات النصف الثانى من القرن العشرين، وقد تنوعت أنشطته الاستثمارية ومجالات عمله، لكن الاسم يقترن دائماً بخطوط الأتوبيس التى أدارها بكفاءة واقتدار فى مدينة القاهرة خلال الخمسينيات، وكانت مثالاً للدقة والانضباط والخدمة المتميزة.

لم تُتح للرجل فرصة كافية لتقديم المزيد والمفيد من المشروعات الناجحة البناءة، فقد توقفت مسيرته بعد صدور قرارات التأميم وفرض الحراسة، على الرغم من أن جعبته كانت مليئة بالكثير من الأحلام والطموحات.

كان الرحيل مفروضاً عليه ولا مهرب منه، وكم يبدو مؤسفاً أن تفيد بلدان أخرى من عمله الدءوب.

يتوقف الفصل الأول من الكتيب: "محطات الرحلة"، عند بعض الملامح العامة للحياة الحافلة بالانتقالات المكانية، من اسنا إلى إيطاليا، مروراً بالسودان والقاهرة. لكل مكان بصمته وتأثيره، وأضفى التنوع المكانى على شخصية أبو رجيلة ثراء باذخاً من الخبرات والتجارب، وغذاه بخلاصة ثقافات شتى لا تعارض بينها أو تناقض، بل هو التكامل والتناغم والانسجام.

الفصل الثانى يحمل عنوان "مدرسة طلعت حرب"، ويسعى إلى عقد مقارنة موضوعية بين أبو رجيلة وأستاذه الكبير طلعت حرب، فثمة مشتركات غير قليلة تجمع بينهما، ولعل التلميذ النجيب كان قادراً على تحقيق الامتداد المأمول والتواصل المنشود، وإدراك نجاح مماثل، وإضافة الكثير والمزيد من الإنجازات، لولا القطيعة الإجبارية التى حالت دون مواصلة ما بدأه.

فى الفصل الثالث: "مملكة الأتوبيس"، تسليط للضوء على المشروع الأكثر أهمية وشهرة فى حياة الاقتصادى الوطنى الكبير عبد اللطيف أبو رجيلة، الذى تحمل مسئولية جسيمة تتجاوز المفهوم الخدمى التقليدى، فى إطار العمل الاقتصادى، إلى الأفق الوطنى، وبرهن على براعة إدارية وعلمية غير مسبوقة، أسفرت عن نجاح يُضرب به المثل حتى الآن. بعد نصف قرن ويزيد، يبدو الاحتياج قائماً لتأمل وتحليل المنهج المتبع فى إدارة المرفق الحيوى، ذلك أن المشكلة قائمة ما تزال.

الفصل الرابع: "كلمات ودلالات"، وفيه توقف أمام بعض المقولات الموجزة المهمة لعبد اللطيف أبو رجيلة، تناثرت فى حواراته وأحاديثه الصحفية، وتكشف عند اجتماعها عن فلسفة "ابن البلد" التى تخلو من التقعر والتعقيد. وفى هذه الكلمات نجد حصيلة الأفكار والرؤى التى كان الاقتصادى الجاد مسلحاً بها ومؤمناً بجدواها وناصحاً بالاعتماد عليها، وهى دروس ونصائح جديرة بالاهتمام، ففيها بساطة لافتة للأنظار، وعمق يعكس ملامح التجربة الثرية، وتجسيد للانتماء الوطنى الصادق البعيد عن الشعارات الجوفاء والادعاء الزاعق.

يبقى الفصل الخامس والأخير عن "الزمالك"، القلعة الرياضية الشامخة التى انتمى إليها عبد اللطيف أبو رجيلة، وكان له شرف ترأس مجلس إدارة النادى العريق لفترة تزيد قليلاً عن عامين، شهدت إنجازات ونجاحات، على المستويين الرياضى والإنشائى، وبرهن الرجل عملياً على حسه الرياضى المرهف، وإيمانه بثقافة التسامح ونبذ التعصب، والقدرة غير المحدودة على العطاء.

فى "الخاتمة" مستخلصات ونتائج مستمدة من الفصول السابقة، التى اجتهدت لتقديم الملامح العريضة فى حياة اقتصادى وطنى كبير، قدم الكثير فى هدوء وتواضع، وانسحب مضطراً عندما أُجبر على الرحيل، لكنه لم يحمل حقداً أو ضغينة، ذلك أنه عاش إلى اليوم الأخير رجل عمل فى المقام الأول، يجد متعته فى الإضافة والتشييد.

الفصل الأول

محطات الرحلة

-١-

الملمح الأكثر بروزاً فى رحلة عبد اللطيف أبو رجيلة يتمثل فى المحطات المكانية الكثيرة التى تقترن باسمه، فهو ابن مدينة اسنا الصعيدية، والنشأة فى السودان، والتعليم والعمل الأول فى القاهرة، والخبرة العلمية والعملية مكتسبة فى لندن وروما، والصفقة الأولى فى إيطاليا، والمزيد من الشهرة والتوسع والنجاح فى القاهرة من جديد، وبعد التأميم يتوزع النشاط بين إيطاليا والسودان، وفى أعقاب الأخذ بسياسة الانفتاح الاقتصادى يعود إلى مصر دون استقرار فيها.

ليس فى تاريخ رواد الاستثمار المصرى من يشبهه فى تعدد محطات الانتقال من مكان إلى مكان، ومن كل هذه الأمكنة كان عبد اللطيف أبو رجيلة يتعلم ويضيف إلى خبراته وتجاربه، ويكتسب من روح المكان الذى يرتبط به سمة يضيفها إلى شخصيته. تتراكم الخبرات المنوعة لتشكل فى محصلتها النهائية اقتصادياً بارعاً، ذلك الرجل البسيط المتواضع المثقف المرح الحكيم، الذى عاش ليستمتع بالعمل والنجاح، ويجد المتعة الكبرى فى الإضافة والإنجاز.

-٢-

منذ نهاية القرن السابع عشر، عاشت أسرة "أبو رجيلة" فى اسنا، ومثلت مع عائلتى "أبو العلا" و "حزين" الثقل الفاعل المؤثر، فمن هذه العائلات الثلاث يكون العمدة وأعضاء المجالس النيابية.

الأب مزارع معروف من أعيان اسنا، وكان جده لأمه حسن عبد المنعم ممثلاً للحكومة المصرية فى السودان.

عند اقتراب موعد ولادة عبد اللطيف، سافرت أمه لتلده فى رعاية أهلها المقيمين فى "أم درمان"، ومن هنا يسهل اكتشاف جذور العلاقة الوثيقة التى ربطت الاقتصادى الكبير بالسودان، فقد وُلِدَ هناك، واجتاز مرحلة التعليم الأولى.

عاش عبد اللطيف أبو رجيلة عمره كله صعيدياً يعتز كثيراً بانتسابه إلى الصعيد، ويفخر بالبيئة وما تتسم به من تقاليد وفنون، ولعل الأغنية الشعبية الأقرب إلى قلبه، والتى كان يترنم بها فى مجالسه، هى تلك التى تتغنى بكوبرى اسنا، وتقول فى عفوية ورقة:

"يا فايت على كوبرى اسنا

لفحنا الهوى نِعسنا

واللى شبكنا يخلصنا"

ويعلق أبو رجيلة كاشفاً عن إعجابه غير المحدود بمثل هذه الكلمات البسيطة: "ما أرق هذا النظم الشعبى فى لهجته الصعيدية. لقد أحسست بجمال اسنا وجمال كوبرى اسنا الذى أوحى للمنشد بهذه الأغانى الرقيقة".

-٣-

بعد التعليم الأولى فى السودان، جاء عبد اللطيف أبو رجيلة إلى القاهرة، والتحق بالمدرسة السعيدية الثانوية. لم يكن تلميذاً نابغاً أو خائباً، فهو مجتهد يقف فى المنطقة الوسطى، وكانت الألعاب الرياضية تستغرق معظم وقته، فهو حارس مرمى الفريق الثانى بالمدرسة، ولاعب تنس، وشخصيته اجتماعية مرحة.

التحق بكلية التجارة، وخلال سنى الدراسة فيها مارس العمل التجارى مع بعض أقاربه على نطاق ضيق، وكان ينفق ما يربحه من هذه العمليات المحدودة على تعليمه وطعامه وملبسه، أو على حد تعبيره: "كنت أعول نفسى".

عمل عبد اللطيف أبو رجيلة بعد تخرجه فى بنك مصر، وتعلم الكثير من تأمله لتجربة نجاح أستاذه طلعت حرب. سافر إلى لندن وروما، واكتسب تجربة عملية أضافها إلى العلم النظرى، وعاد إلى القاهرة ليستقيل من الوظيفة ويبدأ نشاطه الاقتصادى المستقل. عاد عازماً على منافسة التجار الأجانب فى مضمار الاستيراد والتصدير، وهو النشاط الذى كان مغلقاً عليهم، أما عن رأس المال الذى بدأ به فيبدو هزيلاً متواضعاً: أربعة وثلاثون جنيهاً!.

اشترى عبد اللطيف آلة كتابة ومكتباً وطوابع بريد، وعين موظفاً ليعاونه بمرتب لا يزيد عن خمسة جنيهات فى الشهر، وبدأت رحلته مع العمل فى هدوء وثقة.

يقول فى حديث له مع السيدة سكينة السادات، نشرته مجلة "المصور" فى مارس سنة ١٩٥٩: "كانت السنة الأولى فى هذا العمل سنة كفاح بل سنة حرب، واجتزت معارك السنة الأولى، وبدأت معارك السنة الثانية، وبعد ثلاث سنوات أخرى، سارت سفينة العمل فى الطريق الصحيح، وبدأت تتجه إلى بر الأمان.

ومضيت فى طريقى هذا حتى غمرتنى الملايين كما يقولون، ومازلت – وأنا فى غمرة ملايينى – أذكر رأس مالى العظيم الذى تدفقت منه هذه الملايين. لقد كانت أربعة وثلاثين جنيهاً عظيمة حقاً، لأنها أنبتت أضعاف أضعافها، كأنها الحبة المباركة التى وصفها القرآن الكريم بأنها أنبتت سبع سنابل، فى كل سنبلة مائة حبة".

عمل شاق ونجاح وصعود، ثم إفلاس وهبوط. كانت ثروة أبو رجيلة كلها فى موانئ إيطاليا ممثلة فى كميات كبيرة من البضائع، وضاع كل شئ فى غارات الحرب العالمية الثانية التى طالت بالدمار الأغلب الأعم من الأراضى الإيطالية.

أصبح وفق تعبيره الساخر: "على الحديدة"، لكنه لم يعرف اليأس، وعاود الصعود إلى القمة، مسلحاً بالعمل والأمل والإصرار.

- ٤ -

لا يتسع المجال هنا لحديث مستفيض مطول عن العلاقات المصرية الإيطالية فى النصف الأول من القرن العشرين، لكن الوجود الإيطالى فى مصر، ثقافياً واقتصادياً واجتماعياً وفنياً، كان قوياً مؤثراً، ولعله مما ساعد على الاندماج والتعايش التشابه الذى لا يخفى بين الشعبين، بحكم الانتماء الواحد إلى منظومة دول البحر الأبيض المتوسط.

فى "بنت من شبرا"، رائعة الكاتب الكبير فتحى غانم، ما يبرهن بجلاء ووضوح على الدور الكبير الذى لعبه الايطاليون فى مصر، حتى منتصف الأربعينيات من القرن العشرين، وفى المقابل كانت إيطاليا هى المكان الأكثر اقتراناً باسم الاقتصادى الكبير عبد اللطيف أبو رجيلة، فقد عاش فيها سنوات طوالاً قبل ثورة يوليو، ثم عاد إليها بعد التأميم ليواصل العمل والحياة، فضلاً عن أنه تزوج من إيطالية.

كانت الزوجة "لندا" صديقة دراسة لابنة أسرة مصرية تعيش فى إيطاليا، ويشير أبو رجيلة إلى أنها "صعيدية" إيطالية مثلما هو "صعيدى" مصرى، فهى من مدينة "كالا باريا" فى جنوب إيطاليا.

كان أبو رجيلة من المضربين عن الزواج، لكنه تعلق بها سريعاً وتزوجها، وعاشا حياة سعيدة موفقة بلا أولاد.

الزواج من إيطالية لا يعنى موقفاً سلبياً من النساء المصريات أو إعراضاً عنهن، فأبو رجيلة يرى أن المرأة المصرية تتمتع بذهن متحضر، ويقول عن زواجه: "كنت أعيش فى إيطاليا، ومصادفة التقيت بفتاة تتمثل فيها الأخلاق التى أريدها، وتزوجتها. لا لأن هناك عيباً فى المرأة المصرية بنت بلدى، ولكن لأننى التقيت بالزوجة التى أريدها".

كانت "لندا" بسيطة مثل زوجها، وربة بيت تتولى مسئولية كل المهام التى لا يتسع لها وقت الزوج المنهمك فى عمله المتواصل.

لا شك أنها تحملت الكثير، ورضيت بأن تكون زوجة محبة لرجل يشغله التفانى فى العمل عن الكثير الذى تطلبه الزوجة العادية. لم يكن أبو رجيلة من المهتمين بالحياة الاجتماعية ومظاهرها الصاخبة، ويعترف بأنه لم يكنْ يصطحب زوجته إلى السينما إلا مرة كل ثلاثة شهور: "وأدخل فى منتصف الفيلم وأخرج قبل نهايته.. وأثناء جلوسى فى دار السينما أفكر فى برنامج الغد"!.

- ٥ -

اتخذ عبد اللطيف أبو رجيلة من إيطاليا مقراً لإقامته وعمله منذ قبيل الحرب العالمية الثانية، وزاول هناك نشاطاً تجارياً واسعاً ناجحاً، أتاح له أن يكون ثروة طائلة.

عاد إلى مصر للمرة الأولى قبيل نهاية عام ١٩٤٩، بعد انقطاع لأكثر من اثنتى عشرة سنة، ومن حصيلة أمواله اشترى أبو رجيلة قطعة أرض فى وسط القاهرة، تبلغ مساحتها ستة آلاف متر، محدودة بشوارع سليمان ومعروف وشمبليون وعبد الحميد سعيد، كما اشترى مزرعة تبلغ مساحتها أربعمائة فدان حدائق فى منطقة عين شمس، لكنه عاد إلى إيطاليا من جديد فى نهاية العام ١٩٥٢، بعد شهور قليلة من ثورة يوليو.

كان استدعاؤه لمصر فى صيف سنة ١٩٥٤ رغبة فى الإفادة من خبراته وأمواله وقدراته الإدارية، وتعبيراً عن الثقة فى إخلاصه ووطنيته، وهو ما تجلى بوضوح فى صفقات السلاح التى أمد بها الجيش المصرى بعد نهاية حرب فلسطين سنة ١٩٤٨.

لم يكن فى نشاط عبد اللطيف أبو رجيلة المتنوع بين عامى ١٩٥٤ و ١٩٦١ ما يؤخذ عليه، لكنه تعرض مثل غيره للتأميم وفرض الحراسة، وهو ما اضطره أن يغادر مصر من جديد، ويجد فى إيطاليا والسودان وغيرهما من البلدان متسعاً لعمله الاقتصادى.

كان يقترب من الخمسين عندما دُفع إلى الهجرة ومغادرة الوطن، وكان نشاطه يبشر بأنه الامتداد الحقيقى لأستاذه الرائد طلعت حرب، لكنه لم يستمر، وفقدت مصر اقتصادياً وطنياً من طراز فريد.

الفصل الأول

مدرسة طلعت حرب

-١-

يقترن اسم الاقتصادى الرائد طلعت حرب ببنك مصر، المشروع الذى نشأ باكتتاب شعبى، فلم تدعمه حكومة أو تشرف عليه وتوجهه، وأنشأ مشروعات عملاقة فى مجالات شتى، وبرهن عملياً على قدرة الإنسان المصرى الجاد المجتهد أن ينتج وينجح، وينافس الأجنبى ويتفوق عليه.

فى مدرسة طلعت حرب تخرج تلاميذ نجباء، قادوا سفينة العمل الاقتصادى الوطنى من بعده، وواصلوا مسيرة العطاء المسكون بالروح الوطنية، والرغبة الصادقة فى اقتحام كل جديد. لم تكن الوطنية عندهم شعارات فضفاضة وكلمات إنشائية رنانة، لكنها عمل شاق متصل يحقق تراكماً، وطموح إلى نيل الاستقلال الاقتصادى الذى لا يكتمل إلا به الاستقلال المنشود.

طلعت حرب هو الأب الروحى لكتيبة كبيرة من المستثمرين ورجال الأعمال، يختلفون فيما بينهم منهجاً وسلوكاً، لكن المشترك الراسخ هو أن يحتذوا خطى الأستاذ والمعلم، وأن يستلهموا المبادئ التى بشر بها ودعا إليها.

عبد اللطيف أبو رجيلة من نوابغ الخريجين فى مدرسة طلعت حرب، ولا تستطيع العين الموضوعية المنصفة أن تخطئ أوجه التشابه غير القليلة التى تجمعهما، على المستويين العملى والشخصى.

-٢-

تخرج عبد اللطيف أبو رجيلة فى مدرسة التجارة العليا أوائل الثلاثينيات، وسرعان ما نجحت أسرته فى إلحاقه بوظيفة فى بنك مصر، المؤسسة الوطنية العملاقة التى يديرها طلعت حرب، معتمداً فى إدارته على منهج الإعداد العلمى، مدركاً أن صناعة الكوادر الواعية المسلحة بالدراسة المنهجية والتجارب العملية، هى مقدمة للنجاح الاقتصادى وبناء النهضة.

كان تأهيل موظفى البنك من خلال البعثات الدراسية إلى أوربا من أهم ملامح سياسة الإعداد العلمى التى اتبعها طلعت حرب، وبفضل هذا الأسلوب الرائد حظى الموظف الشاب عبد اللطيف أبو رجيلة برحلتين مهمتين إلى لندن وروما، وكانت الحصيلة الإيجابية هى المزج الخلاق

بين الدراسة النظرية والاحتكاك العملى الملئ بالدروس الثمينة فى البنوك والشركات الأكثر عراقة وخبرة.

فى رحلته الأولى إلى العاصمة الإيطالية، قام أبو رجيلة بزيارة العديد من الشركات والوكالات التجارية، واستطاع أن يعقد صفقة لتوريد بعض المحاصيل الزراعية، وانتقل بذلك الفعل من دائرة الموظفين المجتهدين إلى ساحة رجال الأعمال الطموحين.

كان منطقياً أن يستقيل أبو رجيلة من وظيفته فى البنك بعد عودته، وهذه الاستقاله هى بداية ميلاد اقتصادى كبير لا يتعارض انتماؤه إلى مدرسة طلعت حرب مع حقه المشروع فى العمل الخاص بعيداً عنها.

مع اقتراب طلعت حرب من النهاية، بعد حياة حافلة بالكثير من الإنجاز، كان الاقتصادى الشاب يصعد ويقترب من القمة، مؤثراً أن يكون ذلك بعيداً عن مصر، لكنه بقى مديناً لأستاذه بالكثير الذى تعلمه وأتقنه، ولا يملك من يتابع السيرتين إلا أن يرصد أوجه التشابه والتماثل فى كثير من المناحى، ذلك أن للنجاح وسائله وسبله، وقد كان كلاهما ناجحاً.

-٣-

كان التوسع والتنوع فى الأنشطة الاستثمارية من أهم ملامح العمل الاقتصادى للرائد العظيم طلعت حرب، فقد امتد عمل شركاته العملاقة ليشمل حليج الأقطان والنقل والملاحة ونسج الحرير والغزل والنسيج ومصايد الأسماك والكتان والطيران والورق والطباعة وشركات التأمين والسياحة وبناء العقارات، فضلاً عن السينما والمسرح.

ثم جاء عبد اللطيف أبو رجيلة ليسير فى الطريق نفسها، فهو أكثر خريجى مدرسة طلعت حرب تنوعاً فى الأنشطة وإيماناً بضرورة التعدد. قد يقترن اسمه بالنشاط الأهم فى مجال النقل الداخلى بالأتوبيس، لكنه عمل فى مجال تصدير الحبوب والحاصلات الزراعية، وكان توريده للأسلحة عملاً وطنياً قام به بين عامى ١٩٤٨ و ١٩٥٢، وهو ما عرضه للتهديد والاعتداء من القوى الصهيونية فى إيطاليا، وشارك أبو رجيلة فى تأسيس شركة الخزف والصينى مع البنك الصناعى، وتعاون مع وزارة الصناعة لبناء مصنعين للبايات والفرامل، وأسس شركة القاهرة للتأمين، وشركة

أخرى للصـناعات الأسمنتية، وهى الشـركة التى لعبت دوراً إيجابياً بارزاً فى تعمير مدينة بورسعيد بعد العدوان الثلاثى.

وبالإضـافة إلى هذه الأنشـطة كلها، كان عبد اللطيف أبو رجيلة من عشـاق العمل الزراعى واستصـلاح الأراضـى، وكانت مزرعتـه النموذجية تصـدر إنتاجها من المانجو والموالـح إلى الدول الأوربية، وخاصة السويد. ويُذكر أيضاً من مجالات عمله، أنه مالك فندق "سميراميس" فى جزيرة كابرى الإيطالية.

ما الدافع إلى هذا التنوع الذى لا يوجد شـبيه له بعد رحيل طلعت حرب؟!. السـر يكمن فى إيمان أبو رجيلة بضـرورة أن "تجرى الفلوس فى المشـاريع"، فهو لا يكنز النقود بلا استثمار، ويفخر فى أحاديثه دائماً بأن مشروعاته المتنوعة تعول آلاف العائلات.

مثل أستاذه طلعت حرب، كان طموح أبو رجيلة الدائم أن يحقق النجاح قبل الثراء، وأن تلعب ثروته دوراً اجتماعياً يتجاوز المصلحة الشخصية إلى التنمية الشاملة، ولذلك يتحول كل عائد فائض إلى مشروع جديد ناجح، فلا معنى للركود والجمود والتقوقع.

- ٤ -

المشـترك الثانـى بين طلعت حرب وأبـو رجيلة يتمثل فى "الإصـرار والتحـدى"، فهما من أصحاب الإرادة الفولاذية والقدرة غير المحدودة على التحمل ومواجهة الصعاب.

بالكـد والجهد والعمل الدءوب كون أبو رجيلة ثروة من عمله فى إيطاليا، وبالمزيد من العمل تصـاعد نجاحـه حتى وصـل إلى الذروة. يقـول أبو رجيلة: "أنـا طوال عمرى لم أفكر فـى أن أكون مليونيراً.. صـحيح أننى وضـعت هدفاً لجهادى وكفاحى، ولكننى لم أقـدر لهذا الجهاد وهذا الكفاح ثمنـاً.. كان هدفـى الوحيد هو أن أنجـح.. أنجح فى أى عمل أقوم به.. المسـألة تبدأ إذن من تحت.. أن تفكر فى أن تنجح.. أن تكون مسـتعداً للعمل.. أن تكون مسـتعداً لأن تسـتمر فى عملك.. أن تكون شجاعاً فى هذا العمل.. وأن تكون أيضاً ذكياً، فإن باب الملايين لا يفتحه الأغبياء".

لقد واجه أبو رجيلة فى حياته العملية كثيراً من الصـعوبات والمحن، لكنه لم يكن قادراً على الاستسلام لأسباب تتعلق بمبادئه الأصيلة العنيدة الكامنة فى أعماقه، ذلك أنه مستعد دائماً أن يبدأ

مـن جديـد، وأن تكون بدايته من القاع. المال عنده ليس سـلاحاً، فالعمل هـو الأداة الوحيدة لتحقيق المـال، ولذلك يأتـى العمل فى المقدمة. لم يكن ينام إلا خمس سـاعات فى اليوم، والسـاعات الباقية مخصصة للعمل الذى يمتعه ولا يرهقه.

كان أبـو رجيلـة قويـاً ذا عزيمة وإرادة فى مواجهة الضـغوط الصـهيونية التـى تعرض لها فى إيطاليا، وكان حاسـماً جريئاً فى مواجهة المؤامرات التى تعرض لها بعد عودته إلى مصـر. كتب للمسـئولين يعرض عليهم أنشـطته الاقتصادية ومصـادر ثروته فى شـفافية لا أكاذيب فيها، ويقول مباهياً مفاخراً: "هذا هو سـجل نشـاطى أعرضه فخوراً مطمئن الضـمير إلى أننى قد أديت واجبى وأننى قد ساهمت بجهدى وأموالى فى خدمة المصلحة العامة".

-٥-

كان طلعـت حـرب مـن "أبناء البلد"، فهو يتسـم بالبسـاطة والمـرح والابتعاد عـن التقعر والادعاء. كلمة "ياخويا" من لوازمه اللغوية الشهيرة، يقولها للجميع مقربين كانوا أم غرباء، محتذياً فى ذلك الاسـتخدام الشـائع للكلمة فى الحياة اليومية، ودلالتها على الرغبة فى التقارب والاندماج بلا حواجز.

لم يكن طلعت حرب من عشـاق الحياة الاجتماعية الصـاخبة، فهو يسـتقيظ مبكراً، ويعمل ساعات طويلة بلا كلل، ولا يعترف بالأجازات، ومتعته الوحيدة فى لعبة "الدومينو"، وخلال جلسات اللعب لا يتوقف عن مناقشة برامج العمل.

أبو رجيلة بدوره كان من أبناء البلد، معتزاً بصـعيديته وتقاليد المكان الذى نشـأ وتربى على قيمـه وتقاليـده ومبادئه. المظاهر الشـكلية لا تهمه، والأجـازات غائبة تماماً عن قاموسـه، والأعياد يقضيها فى مكتبه، ومتعته الوحيدة هى لعبة كرة القدم.

لم يذهب يوماً إلى طبيب، وعلاجه الأثير لنزلات البرد التقليدية أن يتناول الشاى بالليمون. يركب سيارة من طراز "أوبل" لأنها بسيطة عملية، ولا يجد فارقاً بينها وبين الكاديلاك!.

الانتماء الشـعبى الأصـيل مشـترك مهم بين طلعت حـرب وأبو رجيلة، وهمـا يحكمان المال ويتحكمان فيه، فلا يسمحان للنقود أن تحكمهما وتعيد تشكيل المسار الذى يرتضيانه ويتمسكان به.

الصــورة النمطيــة الشــائعة للمليونيرات من كبار الاقتصــاديين ورجال الأعمــال تتمثل فى مزيج من الغطرسة والتعالى وإيثار الأبراج العاجية للاعتزال عن إيقاع الحياة اليومية الشعبية التى يمارسها العاديون من الناس، ولم تكن حياة أبو رجيلة تحمل شيئاً من ملامح هذه الصورة السائدة، فهو مرح خفيف الظل، بسـيط تلقائى، يترنم بالمواويل الصعيدية منتشياً ببساطتها وعمقها، ولا يكاد من يتعامل معه يصدق أنه يملك الملايين ويدير مشروعات عملاقة.

لم يكـن زاهـداً فى المتعة، لكن متعته هى العمل، وسـعادته فى أن يولد مشـروع جديد وينمو ويكتمل.

-٦-

الحيــاة المتقشــفة تمثـل ملمحاً آخر يشــترك فيه الرائد الاقتصــادى طلعت حــرب وتلميذه المتفــوق عبـد اللطيف أبو رجيلة. كان طلعت باشــا يلبس فــى منزله الجلباب الأبيض وفوقه عباءة، والطعام الشرقى هو المفضل والأثير على مائدته، والمزاج العام بسيط لا يختلف فى شئ عن العاديين من الناس.

على الدرب نفسه سار أبو رجيلة، فهو مع الملايين التى يملكها وتتيح له حياة الترف والرفاهية، كان بسيطاً متواضعاً فى ملبسه ومأكله ومشربه ومسكنه، ليس عن بخل أو شح، بل لأنه يعتنق فلسفة يتمسـك بها: "أنا أخشــى متعة المال.. أخشــاها لأنى لا أريد أن أتعودها. لا أريد أن أتعود السكن فى قصر يملؤه الخدم والحشم.. ولا أريد أن أتعود الجلوس على مكتب مطعم بالذهب.. ولا أريد أن أتعود ركوب الكاديلاك.. فى إمكانى أن أفعل كل هذا وأكثر منه.. ولكننى لا أريده" .

لماذا لا يريده؟!. لأنه يملك رؤية بديلة متجانسة قوامها أن المتعة الحقيقية فى العمل والنجاح، وأن اعتياد المتع الحسـية والمادية قد يمثل عائقاً ذا مردود سـلبى عندما تتبدل الأمور وتسوء الأحوال ويعز الحفاظ على مثل هذه المظاهر البراقة.

كان أبــو رجيلــة ذكياً بسـيطاً فــى اختيــار مفرداته وألفاظــه، ومثل طلعت حــرب لم يعرف الإســراف أبداً، وبنص كلماته: "أنا لســت مســرفاً. أنا رجل بسيط فى كل شئ وكذلك زوجتى. أنا لا

أشـرب ولا أقامر، وزوجتى تتوخى أبسـط الوسائل. وعندما نكون فى إيطاليا نركب الأتوبيس والترام فى تنقلاتنا بدافع من البساطة الطبيعية غير المتكلفة".

-٧-

المشترك الأهم بين طلعت حرب وأبو رجيلة هو قوة الانتماء الوطنى، والعمل الدءوب من أجل الصالح العام. كلاهما بعيد عن الممارسة السياسية بالمعنى المباشر الشائع للكلمة، لكنهما يترجمان الشـعور الوطنـى من خلال عمـل إيجابى بناء بلا ضـجيج، يضـيف إلى الثروة العامـة التى تتجاوز الأفراد، ويتيح فرص العمل، ويقدم الخدمات، وينافس الأجنبى طامحاً إلى التفوق عليه.

بعد حرب فلسطين سنة ١٩٤٨، لم يتردد الوطنى المخلص عبد اللطيف أبو رجيلة فى تقديم كل دعـم ممكن للجيش المصـرى، وكتب فى مذكـرة رفعها للوزيرين عبد اللطيف البغدادى وحسـن إبراهيم، رداً على بعض الاتهامات الباطلة التى وجهت إليه: "لاشـك أنه يعز على أى مواطن صـالح أن يجد نفسـه موضـع التشكيك والاتهام، وخصوصـاً إذا كان هذا المواطن من رجال الأعمال الذين يعتمدون على الثقة باسمهم".

مواطـن صـالح، ومهنته رجـل أعمال، وعندمـا طلبت منـه وزارة الحربية تمويل صـفقات الأسـلحة، التى كان الحظر مفروضاً عليها بعد الحرب، بادر الرجل بالاستجابة، ولم يعبأ بما تعرض لـه من تهديد واعتداء قام به الصـهيونيون فى إيطاليا، وقُدم بعضـهم إلى المحاكمة وقُضـى عليهم بالسجن.

فى السـادس والعشـرين من أغسـطس سـنة ١٩٥٧، كتب عبد اللطيف أبو رجيلة "إقراراً" قدمه إلى الحكومة المصرية، وقال فيه:

"بما أننى سـبق أن تقدمت إلى السـلطات المختصـة فى إيطاليا بطلب تحويل إيراداتى إلى مصـر ولكن هذه السلطات رفضـت هذا الطلب بحجة أننى لم أقم باستيراد باقى المبالغ المطلوبة لى من وزارة الحربية والناشـئة عن العقود التى أبرمتها معها بشـأن اسـتيراد أسلحة من إيطاليا والتى كنت ممولاً فيها.

وبمـا أننــى قد أعدت السـعى للموافقـة على إجـراء هذا التحويل فى صــورة بضــائع أقوم بتصديرها إلى مصر وقد قمت فعلاً باستيراد ماكينات لأعمال الطرق فى حدود مبلغ خمسة وثلاثين ألـف جنيه فى عام ١٩٥٥. ومازلت أسـعى لإتمام هذا التحويل فى صــورة بضــائع على نطاق أوسـع وقدمت بذلك طلباً إلى السـلطات الإيطالية والمصــرية لاسـتيراد بضــائع فى حدود مائة ألف جنيه بدون مقابل.

وبما أننى سبق أن أثبت فى إقرارات الضريبة على الإيراد العام إيراداتى فى الخارج.

وإظهــاراً لتعاونى الكامل فإنى أقرر بموجب هذا أننى على اســتعداد لتحويل جميع إيراداتى فى إيطاليا إلى مصــر. وإذا لم ينجح مسـعاى فى ذلك فإنى سأطلب من السلطات المصرية معاونتى لدى السلطات الإيطالية للحصول على هذا التحويل".

هــل يحتاج هذا الإقرار إلى تعليق؟!. إنه دليل ســاطع على وطنية خالصــة لا تعرف الأنانية والحفاظ على المصــالح الشخصـية، لكن الرغبة فى العمل العام لم تشـفع له، وصـدر قرار التأميم دون تقدير للدور الوطنى الذى تفانى فى القيام به، ودون نظر إلى المشروعات الناجحة التى يديرها بكفاءة ودراية، وأهم هذه المشروعات يتمثل فى قطاع النقل بالأتوبيس داخل القاهرة.

الفصل الثالث

مملكة الأتوبيس

-١-

النقـل مـن أهـم المعايير فـى قياس مستوى التقـدم الاقتصـادى والاجتماعى للشـعوب المعاصـرة، فالأمم التى تملك شـبكات نقل تتسـم بالكفاءة العالية هى المؤهلـة والقادرة على تحقيق النمو الاقتصادى وتفعيل عملية التطوير فى الواقع الاجتماعى، ومع تدهور النقل تتأثر كافة الأنشطة الاقتصـادية سـلباً، ويتراجع مسـتوى الأداء. وليس أدل على حيوية وخطورة النقـل من تركيز "آدم سميث" فى كتابه الشهير "ثروة الأمم" على أن هذه الثروة لا تتكون أو تكتمل إلا عبر ثلاث دعائم: التخصص والتسويق والنقل.

لم تكن مشـكلة النقل، بعيداً عن الإنتاج الزراعى والسلعى، مطروحة فى مصر خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، فعلى المستوى الفردى كانت الدواب وعربات الكارو هى الوسيلة الشـعبية المعتمدة الشـائعة، أما كبار الأعيان والأغنياء فيركبون عربات فاخرة تجرها الجياد. ولعل الكاتب الكبير نجيب محفوظ هو أفضـل من يقدم الشـهادة الإنسـانية الصادقة عن الواقع المصرى حتى منتصـف العقد الثانى من القرن العشـرين، ففى قصـة "المهد"، مجموعة "القرار الأخير"، يسـتعرض نجيـب مجمل رحلته مع الحياة، ومـن معالم الرحلة "موقف الحمير" فـى ميدان العتبة الخضـراء، حيث يقترح الطفل الراوى على أبيـه أن يركبا حمارين فى طريق العودة إلى المنزل، بدلاً من عربة "سـوارس"، لكن الأب يسـخر من رغبته قائلاً: "الله يخيب ذوقك، لا فائدة من محاولة تمدينك"!.

كانـت عربـة "سـوارس"، ذات الطابع البدائـى البطئ، هى قمة التمديـن فى ذلك الزمن البعيد!.

-٢-

كان الأجانب هم المسـيطرون على وسـائل النقل فى مصـر، ففضـلاً عـن الهيمنة الكاملة على السـكك الحديديـة والتلغراف والتليفون، كان الاحتكار الشـامل ممتـداً إلى خطوط الترام فى القاهرة والإسكندرية، أما فى مجال شركات الأتوبيس فقد انفردوا بالعمل دون مزاحمة حقيقية من المصـريين، وثمة أسـماء غربية شهيرة مهمة، مازال بعضها شـائعاً بعد تحريفه، مثل "أمنيبوس" و "كافورى" و "سيسيليا".

لم يكن احتكار الشركات الأجنبية للمشروعات الاقتصادية فى مجال النقل مما يروق للقوى الوطنية، ولذلك طالب بعض أعضاء مجلس النواب، فى جلسة الخامس والعشرين من يوليو سنة ١٩٣٨، بعدم تجديد أى عقد تنتهى مدته الزمنية لشركات الأتوبيس الأجنبية، على أن تتولى الحكومة حق الاستغلال، أو تمنح الامتياز لشركات مصرية، لكن الحكومة لم تستجب لهذه المطالب.

على الرغم من هذه الهيمنة، وبفضل النهضة الاقتصادية الوطنية وثيقة الصلة بالحركة السياسية والحراك الاجتماعى، بدأت محاولات التمصير فى الثلاثينيات، وانتبه قطاع من الرأسماليين المصريين إلى أهمية وضرورة الاستثمار فى هذا المجال الحيوى، ومن ذلك تأسيس شركة أتوبيس الصعيد، التى تولت الخدمة فى خطوط الوجه القبلى، وشركة أتوبيس الشرقية والدقهلية، وتظهر فى هذا السياق أسماء مثل أحمد عبود ودنقل.

لقد تأثرت شركات الأتوبيس الأجنبية بأجواء الحرب العالمية الثانية وما ترتب عليها من متغيرات، ومع قيام ثورة ٢٣ يوليو، كان لابد أن تتغير الخريطة جذرياً، أما رجل الساعة القادر على التمصير فى إطار وطنى ملتزم فهو عبد اللطيف أبو رجيلة. كان رجال الثورة هم من سعوا إليه واتصلوا به حيث يقيم فى إيطاليا، وطالبوه بالعودة ليسهم فى النهوض بالمرفق الحيوى الذى يعانى من التدهور والانهيار.

-٣-

فى صيف سنة ١٩٥٤، اتصل السيد عبد اللطيف البغدادى، وزير الشئون البلدية، بعبد اللطيف أبو رجيلة ليستحثه على العودة إلى مصر، وبمجرد وصوله تحدث معه الوزير عن تسيير خطوط أتوبيس المجموعات الأولى والثانية والسادسة فى مدينة القاهرة، وهذه الخطوط هى الأكثر أهمية وخطورة، والأكثر معاناة من التعثر والفوضى.

يقدم عبد اللطيف أبو رجيلة نفسه توصيفاً دقيقاً موثقاً لما كانت عليه الأمور قبل أن يتولى المسئولية التى وقعت على عاتقه. كانت الشركة الدولية للنقل والهندسة تتولى العمل فى المجموعة السادسة، لكنها أفلست بعد أن زادت ديونها عن المليون جنيه، وفشلت بلدية القاهرة فى القيام بعمليتى التشغيل والإدارة. المجموعة الثانية كانت من نصيب شركة أتوبيس مينا، وقد أفلست أيضاً بعد ارتباك طويل. أما المجموعة الثانية فكان المسئول عنها رجل الأعمال عمر هيكل ، الذى تعثر فى

تنظيم الخدمة، وتأخر لفترات طويلة فى دفع أجور العمال والموظفين، وهو ما دفع البلدية إلى فرض الحراسة الإدارية، وسرعان ما أشهر عمر هيكل إفلاسه هو الآخر! .

ملامح الخريطة قوامها الفشل والتخبط والاضطراب وسوء الإدارة، وكان منطقياً أن يتدهور المرفق الحيوى الذى يقدم خدمات يومية لا يمكن الاستغناء عنها لملايين من المواطنين العاديين. للوهلة الأولى لا يبدو الاستثمار فى هذا القطاع المترنح مجدياً أو مبشراً بالربح، لكن الرجل لم يتردد لحظة واحدة فى القبول، من منطلق المصلحة الوطنية قبل المنفعة المادية.

لعل فى اللجوء إلى عبد اللطيف أبو رجيلة ما يكشف عن الثقة فى قدراته الاقتصادية وحسه الوطنى من ناحية، وينم عن إحساس رجال الثورة بضرورة المواجهة السريعة الحاسمة للمشكلة المعقدة من ناحية أخرى.

- ٤ -

تحمل أبو رجيلة مهمة وطنية جليلة ومسئولية اقتصادية خطيرة فى ظل أوضاع بالغة التدهور، ولم يكن اللجوء إليه إلا بعد محاولات عديدة فاشلة، تمثلت فى مفاوضة الوزارة لكثير من رجال المال والأعمال والمؤسسات الاقتصادية، مثل المهندس أحمد عبود وبنك مصر وشركة ترام القاهرة، لمعرفة مدى قدرتهم على التعامل مع مرفق الأتوبيس، لكن الشروط التى طرحها هؤلاء لم تكن مرضية أو مقبولة، ومنها أن تضمن بلدية القاهرة تحقيق الربح، أو تقدم قرضاً بمليون جنيه، وألا يكون التزام باستخدام العمالة القائمة الموروثة من إدارات سابقة!.

لم يفرض أبو رجيلة شروطاً، ولم يطلب قروضاً أو ضمانات، ووافق على تحمل حقوق جميع العمال والموظفين، بل إنه التزم بسداد مبلغ خمسين ألف جنيه مستحقة للبلدية قبل الملتزم السابق عمر هيكل، ودفع أيضاً أجور العمال المتأخرة عن المراحل السابقة.

شرع عبد اللطيف أبو رجيلة فى العمل الإيجابى السريع، واستورد سيارات أتوبيس من أشهر الماركات العالمية وأكثرها كفاءة: البرلييه والشوسون من فرنسا، والمرسيدس من ألمانيا. وتتجلى مهارته التفاوضية مع المنتج الأجنبى فى الأسعار التى اشترى بها، فكان سعر سيارة الأتوبيس

المرسيدس ثلاثة آلاف جنيه، بينما اشترت بلدية الاسكندرية السيارة نفسها بثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين جنيهاً١.

خلال عامين من بداية العمل، كان لدى خطوط القاهرة أكثر من أربعمائة سيارة أتوبيس، تقدم خدمات راقية، وبكفاءة غير مسبوقة. مواعيد منضبطة، وسائقون مدربون على فن القيادة بالمفهوم الشامل للكلمة، وتفتيش صارم يحول دون الاستهانة بالراكب والإساءة إليه وإهدار وقته، وجراچات حديثة مجهزة لإيواء السيارات وصيانتها ونظافتها.

بنى عبد اللطيف أبو رجيلة أكبر جراچين فى مدينة القاهرة، أولهما عند مدخل القبة على مساحة ثلاثة عشر فداناً، وثانيهما بالقرب من نفق الجيزة، فضلاً عن جراج ثالث كان ملكاً لشركة الأمنيبوس العمومية بشارع اسطبلات الطرق فى حى بولاق، اشتراه أبو رجيلة وحدثه لينضم إلى شركته العملاقة.

كانت الجراچات التى بناها الاقتصادى الكبير بمثابة الأنموذج الذى يحتذى أحدث التطورات فى عالم النقل العصرى، فهى مزودة بورش ميكانيكية للصيانة وإصلاح الإطارات، وتضم أماكن خاصة فسيحة لعمليات التشحيم والتموين، ومكاتب للموظفين والجهاز الإدارى، ونواد للعمال، وعيادات طبية متكاملة لمتابعة الأحوال الصحية وعلاج المرضى من العمال والموظفين. تجاوزت تكلفة الجراچات الثلاث وملحقاتها نصف مليون جنيه، وبرهن أبو رجيلة من خلالها على الرؤية الشاملة الواعية التى لا تتعجل الربح ولا تسعى إليه بوسائل عشوائية غير مدروسة، ذلك أن رهانه الصحيح هو تقديم خدمة جيدة، عبر منهج علمى، كمدخل لا غنى عنه للازدهار والنجاح.

لم يكتف عبد اللطيف أبو رجيلة بذلك كله، فقد اتجه إلى العمل الصناعى وثيق الصلة بالنشاط الخدمى الحيوى، وشارك فى تأسيس مصنعين بالتعاون مع وزارة الصناعة: مصنع للبايات، وآخر لتيل الفرامل.

عندما تعرضت مصر للعدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦، بادر عبد اللطيف أبو رجيلة بوضع أتوبيسات شركته تحت تصرف القوات المسلحة، وتكفل بمسئولية تموينها ودفع أجور سائقيها. لم ينشغل بالتفكير فى الانخفاض الكبير للإيرادات نتيجة للحرب والغارات الجوية وحالة الإظلام،

وتجاوزت حساباته ثنائية الأرباح والخسائر، ذلك أن الرجل كان وطنياً مخلصاً منتمياً، يخلو من داء الأنانية وقصر النظر.

-٥-

فى إطار الرؤية التكاملية ذات الأبعاد الاستراتيجية الطموحة، لم يقف نشاط عبد اللطيف أبو رجيلة واستجابته لدواعى المصلحة الوطنية العامة عند حد تسيير خطوط الأتوبيس فى القاهرة، فقد كان مؤمناً أن التقدم الحقيقى للبلدان يُقاس بكفاءة المواصلات وحالة الطرق. عندما طرحت مصلحة الطرق والكبارى عمليات طريق اسكندرية الزراعى، وطريق شربين – كفر الشيخ، وغيرها، تقدم أبو رجيلة لتنفيذ أربعة من عمليات تعبيد الطرق. ولضمان أعلى مستوى من الجودة فى التنفيذ، استعان بمجموعة من الخبراء الفنيين الإيطاليين، ليس لأن إيطاليا هى البلد الذى ارتبط به وعاش فيه طويلاً، بل لأن هؤلاء الخبراء من أصحاب الخبرات المشهود لها فى شق الطرق، وإنجازاتهم فى ليبيا شاهد لا يكذب.

استورد أبو رجيلة معدات وماكينات من إيطاليا بخمسة وثلاثين ألف جنيه، وراعى سرعة الاستيراد دون إجراءات عقيمة حتى يبدأ العمل سريعاً، وبذلك نجح الاقتصادى النشيط فى تأسيس بيت خبرة وطنى حقق إنجازات هائلة، وكان قادراً على تحقيق المزيد.

كانت أتوبيسات شركة أبو رجيلة، فى الخمسينيات، تنقل ثلاثة عشر مليوناً من المواطنين داخل القاهرة فى الشهر الواحد، ولم يكن الزمن الفاصل بين كل سيارتين فى بعض الخطوط المزدحمة يتجاوز ثلاث دقائق. حركة بالغة الانتظام والدقة، أما السائقون والمحصلون والمفتشون فيقدمون أنموذجاً جديراً بالاحترام والتقدير فى الانضباط وحسن معاملة الركاب وأداء العمل على الوجه الأكمل وفق المعايير الموضوعة لهم.

بلغ عدد العمال فى شركة أبو رجيلة رقماً قياسياً لم تصل إليه شركة نقل داخلية من قبل: أربعة آلاف عامل، ما بين سائق ومحصل وميكانيكى وإدارى وناظر محطة ومفتش، أما الإدارة العامة فيشرف عليها أبو رجيلة بمنهج يمزج بين الدأب والبساطة، مع ولع بتقديم كل ما هو جديد يضفى على أجواء الحركة مزاجاً إيجابياً، فهو أول من استخدم أجهزة الراديو فى سيارات الأتوبيس، وهى فكرة تعرضت فى بدايتها للسخرية والتهكم، شأن كل جديد غير مألوف، ثم لاقت نجاحاً واستحساناً.

المسـألة هنا ليسـت "تقليعة" شـكلية بعيدة عن جوهر العمل الخدمى، فالمستهدف أن يجد الزبون المسـتهلك مناخاً إيجابياً ترفيهياً يدفعه إلى التشـبث بوسـيلة انتقال دون أخرى، فى سـياق التنافس المشروع.

فـى جراچات أبـو رجيلة، كان عدد غير قليل مـن العمال يتولون مهمة تنظيف الأتوبيسـات يومياً لتحتفظ بالمظهر الجميل الذى يضـفى على الشـركة سـمعة وشـهرة، وكان "تعقيم" أسـطول السيارات يتم بالمواد المطهرة مرتين أو ثلاثاً فى الأسبوع!.

سيارة الأتوبيس ليست مجرد مركبة تسير فى الشارع، بل إنها جزء من نسيج الحياة اليومية للمواطن العادى، فهو يسـتخدم وسـيلة النقل الشـعبية مرتين على الأقل كل يوم، ومن حقه، وواجب الشركة بالتبعية، أن يقضى هذا الوقت مستمتعاً بالمعاملة الطيبة والجو المريح، وأهم من هذا كله أن يكون الانتظام قائماً بلا تأخير. المسموح لسائقى سيارات أبو رجيلة لا يتجاوز التأخير دقيقة واحدة، ثم يكون التحقيق لمعرفة الأسباب!.

-٦-

واقعة حقيقية، بسيطة بقدر ما هى دالة، تكشف عن المنهج الذى كان عبد اللطيف أبو رجيلة يدير به إمبراطورية الأتوبيس التى يملكها. كان المعروف عنه أنه يحرص على ركوب أحد السـيارات مـرة واحدة على الأقل كل شـهر، على اعتبار أنـه مواطن عادى من الملايين الذيـن يركبون. الأغلب الأعم من السائقين لا يعرفونه، وحتى الذين يطالعون صوره فى الصحف لا يتخيلون فكرة ركوبه.

تشاجر أبو رجيلة مع واحد من هؤلاء السائقين، فقد تجاوز محطة من المحطات المقرر له أن يقف فيها، واحتج الراكب المليونير فلم يلق إليه السائق بالاً، واستمر فى معاملته بلا مبالاة أو اهتمام. تطور النقاش إلى درجة من الحدة دفعت السائق إلى التساؤل ساخراً: "وإيه يعنى يا أخى.. انت مين علشان تراقبنى؟"، ورد الاقتصادى الكبير فى هدوء: "أنا أبو رجيلة"!.

الإخلال بنظام العمل جريمة، والإصرار على الخطأ خطيئة، ولا معنى للحديث عن الحوافز والمكافآت دون حديث مماثل عن عقوبات تُوقع على المهملين والمقصرين. كان أبو رجيلة يعمل ساعات أكثر من أصغر العاملين عنده، وكان يوزع على أبناء العمال من الطلاب نقوداً من جيبه الخاص بعيداً

عن حسابات الشركة، وفى المقابل لا تهاون مع أحد. طبق نظاماً فريداً فى الحوافز، فعند انتظام العامل لمدة أسبوع متواصل تُصرف له مكافأة، ولو لم تدخل السيارة الإصلاح أسبوعاً كاملاً تزيد المكافأة، ثم تتضاعف إذا استمرت السيارة شهراً كاملاً بلا إصلاح.

لا تستقيم الإدارة بلا ضوابط أو معايير، ويرى أبو رجيلة أن العامل المصرى أحسن وأمهر عامل فى العالم إذا تعلم وفهم واجباته وحقوقه، وهو الأسوأ إذ نال حرية أقرب إلى الفوضى!.

-٧-

لم يكن البقاء فى مصر ممكنا بعد قرارات التأميم، واضطر عبد اللطيف أبو رجيلة أن يعود إلى إيطاليا، أما مرفق النقل العام فقد شهد بعد غيابه انهياراً شاملاً، تشهد عليه مئات الرسوم الكاريكاتورية فى المجلات والصحف المصرية خلال حقبتى الستينيات والسبعينيات. تبخر النظام الدقيق الصارم، وتحول السائقون والمحصلون إلى التعالى واللامبالاة، وغابت الصيانة عن السيارات فتزايدت الخسائر من عام إلى عام، وأصبح ركوب الأتوبيس مغامرة غير مأمونة العواقب، يخوضها المواطن متخوفاً، وينتهى منها محبطاً!.

خلال سنوات غربته، قدم أبو رجيلة تجربة ناجحة فى الخرطوم، واستدعى بيت خبرة بلجيكى ليضع حلولاً علمية عملية للمشكلة المرورية التى تعانى منها العاصمة السودانية.

حقق الرجل إنجازاً لم يبخل عليه بكل ما هو ضرورى من دراسة وتخطيط، وحقق أرباحاً طائلة، وكانت مصر أولى بعمله.

عاد أبو رجيلة إلى مصر فى النصف الثانى من السبعينيات، وكانت وصيته أنه لا نجاح لهيئة النقل بمعزل عن محاربة الرشاوى والسرقات والإهمال والتسيب. وقبل سنوات طوال من تنفيذ مشروع مترو الأنفاق، ألح أبو رجيلة على حتمية وجوده. كانت التكلفة سنة ١٩٥٧ لا تزيد عن ستة ملايين جنيه، لكن أحداً لم يستمع إليه.

عاد الرجل ليتحدث كأنه ينشد قصيدة رثاء: "أريدك أن تدخل أى جراج فى القاهرة. شئ قذر. برك من الزيوت والشحومات وصبية ملوثون بالطين وبقايا الزيت المحترق. فى الماضى كانت مجرى السيارات فى الجراج مصنوعة من القيشانى الأبيض .. لو اتسخت لعاقبت المسئول فوراً ..

الآن الكراسى فى السيارات ملطخة بالشحومات والزيوت. السائق الآن يقف عشر مرات فى الطريق. مرة للطعام وأخرى للشاى وثالثة للعصير ورابعة للسلام على ابن عمه القادم من البلد"!.

عاد أبو رجيلة بلا ضغينة، وعمل فى مجالات أخرى بعيدة عن النشاط الذى يقترن باسمه. لم يكن اقترابه من السبعين حائلاً دون العطاء، ومثل هذه الاستمرارية متوافقة مع فلسفته التى تعلى من شأن العمل، ولا ترى للحياة معنى ما لم تكن مسكونة بالإنجاز والبساطة والأمل، مثله فى ذلك مثل أولاد البلد الذين يعشقون الحياة والوطن.

الفصل الرابع
كلمات ودلالات

-١-

فى عشرات الأحاديث الصحفية التى أجريت مع عبد اللطيف أبو رجيلة، تظهر عبارات دالة تجسد أفكار الرجل ورؤيته وفلسفته.

ابن البلد المثقف المسكون بالتجارب والخبرات، البسيط المرح الذى لايعرف المراوغة والادعاء، الحكيم الذى يقدم خلاصة حكمته فى عفوية أخاذة تجمع بين العمق والوعى.

حصيلة تزدحم بعشرات الكلمات الدالة، فلم يكن بد من اختبار الأهم والأكثر تعبيراً عن الجديد الذى نحتاجه الآن أكثر من أى وقت مضى. روشتة نجاح لمن يرومون التعرف على أساليب العمل المثمر، ونصائح لاجفاف فيها أو تقعر. لايدعى امتلاك اليقين المطلق ولايحتكر الصواب، لكنه يقول ما يستدعى التأمل والاستيعاب.

-٢-

(أنا لست مليونيراً.. أنا رجل أعمال. المال فى نظرى ليس سوى وسيلة أستطيع أن أحقق بها عملاً جديداً).

الفارق ليس لغوياً بين مصطلحى "المليونير" و "رجل الأعمال"، فالتمييز بالغ الأهمية فى الكشف عن جوهر الرؤية التى يتمسك بها عبد اللطيف أبو رجيلة، ولايمل من تكرارها.

قد تكون مليونيراً بلا عمل، وقد تكون رجل أعمال بلا ملايين، وفى الحالتين ينتصر العمل على التبطل، ويتفوق النجاح على السلبية. المال لايمثل هدفاً فى ذاته، فهو مجرد وسيلة لتحقيق قيمتين إيجابيتين لا غنى للحضارة الإنسانية عنهما: العمل والنجاح.

أن تكون مليونيرا لا يعنى أن تُدان أو تُمدح، ذلك أن الجدير باهتمام هو الأسلوب الذى تجنى من ورائه الملايين، والطريقة التى يتم توظيفها بها.

لو خُير أبورجيلة لاختار أن يُوصف بأنه من العاملين لا الأغنياء، فلم يكن يوماً من أصحاب الثروات الطائلة الذين لايضيفون شيئاً. إنه رجل عمل يسعد بالإنجاز، دون انشغال بالعائد المادى وحده.

-٣-

(إن الناس لا يعرفون مدى مسئولية صاحب المال.. لا يعرفون أن المال شئ رهيب مخيف.. عجلة تدور والنتيجة واحدة من إثنتين، أن تفوز أنت، أو تفوز هى وتقضى عليك).

الوظيفة الاجتماعية لرجال الأعمال وما يمتلكون من أموال، والمسئولية التى يتغافل عنها بعض من يتصورون أنهم يعيشون فى جزيرة خاوية من البشر.

الإنسان الواعى السوى هو من يخوض صراعاً مستمراً ضد ديكتاتورية المال، فيسعى إلى التحكم فيه ويسمح له بأن يحكمه. مباراة حافلة بالمخاطر والمخاوف، وليس أصعب على الإنسان، وبخاصة إذا كان من كبار الأغنياء، من الاستسلام لسلطان المال، فهذا الاستسلام هو الخطوة الأولى ليفقد إنسانيته.

فى هذا السياق وحده يمكن فهم وصف أبو رجيلة للمال بأنه "شئ رهيب"، فهو يؤكد بذلك إحساسه المرهف بالمسئولية التى تتجاوز الذات، ويبرهن على وعيه الناضج بما ينتظره المجتمع من عطاء إيجابى يتوافق مع الثروة الممنوحة، وما يطمح إليه رجل الأعمال نفسه ما يطمح مع الحياة وتوافق مع من يشاركونه فيها.

-٤-

(المال شئ غير مهم. المال لا يمنحك الذكاء والتفكير، لكن العقل نفسه هو الذى يمنحك هذا).

البطولة عند عبد اللطيف أبو رجيلة من نصيب العقل والتفكير العلمى والقدرة على الابتكار والإبداع. من يملك هذه الأسلحة لن يجد صعوبة تذكر فى تحقيق الثراء وجنى المال، وفى المقابل لا قدرة لملايين العالم على أن تصنع عقلاً واعياً، أو تمنح سعادة ورضا، أو ترتفع بالإنسان إلى السلوك المتحضر الذى يليق بالجلال والسحر الروحى المنشود.

قد تجوز المقارنة بين "المليونير" و "رجل الأعمال"، تأكيدا لانتصار قيمة العمل، لكن فكرة المقارنة ليست واردة عند الحديث عن "المال" و "العقل"، فلا تكافؤ أو ندية بينهما.

مـن المنطقى والمبرر إذن أن يؤكد أبو رجيلة أن المال ليس مهماً أوقادراً على المنح والعطاء، فالعقل وحده هو السـلاح الذى لاغنى عنه، وهو الصـانع الحقيقى لكل إنجاز وتقدم. المال من ثمار العقل، وهى ثمرة لا تمثل فى ذاتها شيئا يرتقى بها إلى مقام الشجرة الأم ؛ العقل.

- ٥ -

(نصـيحتى للمبتدئين فى التجارة والصـناعة: العزيمة القوية وإعـادة الكرة مرات ومرات حتى يتحقق النجاح).

إذا نصـح رجـل فـى مكانة عبـد اللطيف أبو رجيلـة فلا بد من الاسـتماع إليـه، فهو يقدم بكلماته البسـيطة القليلة خلاصة تجربة شاقة، حافلة بالعمل الدءوب والجدية والكفاح. حكمة نابعة من الممارسـة، وليست مجرد كلمات نظرية يسـهل تكرارها دون عمق. نصيحة للشباب والمبتدئين أن يجعلـوا مـن النجاح هدفاً لا محيد عنه، ولا وصـول للهـدف الثمين إلا عبر التمسـك بقيمتين لا غنى عنهما: العزيمة التى تتكئ على إدارة قوية لا تعرف اليأس والاستسلام، والدأب الذى يتجاوز الإحباط وتجارب الفشل.

أبو رجيلة نفسه كان مسلحاً بهاتين التيمتين، فهو ذو عزيمة فولاذية لا تنكسر، وإصرار عنيد يمحو من قاموسه مفردات الخمول والإذعان.

درب النجاح ليس ممهداً، ولا يمكن أن يكون، والوصـول إلى النهاية السعيدة رهين بترجمة النظرية إلى فعل وعمل.

- ٦ -

"أنا أركب الأوبل لأننى أريد أن أصـل إلى مكان أعقد فيه صـفقة.. العربة فى نظرى وسيلة للوصـول إلى محل الصـفقة. المهم عندى هو الصـفقة وليس العربة..سـواء كانت كاديلاك أو فيات توبلينح".

"ماركة" السيارة فى كلمات أبو رجيلة السابقة تكثيف لكل ما يقترن بالمظاهر والوجاهة الشكلية البراقة. كل متوج للحضارة العصرية بمثابة "وسيلة"، وتحل الكارثة عندما تتحول هذه المظاهر إلى هدف.

القيمة الحقيقية للإنسان العامل الجاد ليست فى طراز السيارة التى يركبها، لكنها فى امتلاكه للقدرة الإيجابية الفاعلة بعد أن تصل به السيارة إلى حيث يبدأ العمل، ويشرع فى الإنجاز. أى جدوى من سيارة فارهة فاخرة يتباهى بها ثرى يعقد صفقة فاشلة؟!. وفى المقابل، هل من غضاضة أو عيب فى ركوب سيارة عادية عملية تقود إلى النجاح والإدارة الصحيحة الواعية للعمل الذى تقوم به؟!.

-٧-

(إننى أقابل مايرسله لى القدر بصبرى وإيمانى.. وأنا لا أؤمن بالحسد.. ولكنى أؤمن بالقضاء والقدر).

الإنسان يصنع مصيره وحظه، والإيمان بالقضاء والقدر يختلف عن التشبث بخرفات تحيل الفشل والنجاح إلى عوامل الصدفة والحظ وغير ذلك من مفردات فضفاضة بعيدة عن التحديد والوضوح.

من واجب الإنسان أن يسعى، وإذا صادفه الفشل ويذكر له السعى والإصرار على القيام بالواجب بدون تقصير. فى هذا الإطار يمكن الحديث عن القضاء والقدر والإرادة الإلهية التى تحكم المصائر لحكمة يجملها البشر ولا يملكون إلا الإيمان به والتسليم والاستسلام الحظير بحق هو أن يجعل المرء من عوامل خارجية "شجاعة" يعلق عليها إخفاقه، ويعفى نفسه من مسئولية التقصير والتكاسل وغياب الجدية.

البطولة عند أبو رجيلة أن تتلقى الضربة وتنهض، والخيبة التى لا تبرير لها أن تستسلم وتبرر بالاعتماد على كلمات مراوغة زئبقية، لا محصول لها إلا تجميل العجز والفشل.

-٨-

(مشــكلة الشباب المصــرى فى رأيى جملة واحدة Easy Money ..شاب يريد أن يحصل على كل شئ فى حياته بسهولة.. يريد أن يجمع أكبر مبلغ من المال بأقل مجهوديمكن أن يبذله.. شاب يريد أن يوضع فى أى وظيفة بسرعة، لكى ينال مرتباً من هذه الوظيفة ويصبح فى جيبه نقود. شاب لا يريــد أن يقف على قدميه ويعتمد على نفســه ويقتحم الميدان الــذى يريد أن يعمل فيه. دائماً وأبداً يفكــر فى الواســطة.. فى عكاز يســتند إليه. إذا أراد أن يعمل فى شــركة، فــلا يبحث عن هدف هذه الشركة ومكانه وعمله فيها، ولكنه يبحث عن صديق يعرف مدير هذه الشركة، لكى يسعى له من أجل أن يعمل).

تعود الكلمات الســابقة إلى ما يزيد عن نصــف قرن، لكن جوهر المشــكلة لا يكاد أن يختلف عن معطيات الواقع المعاصــر. الاستسهال داء يعطل الإرادة، ويصيب بالشيخوخة المبكرة، ويقود إلى الكســل والتواكل الســلبى، ويعلى من قيمة الوســاطة والمحســوبية والتطلع إلى الصــعود بلا مشقة أو جهد.

ليســت مشكلة شــباب الخمســينيات وحدهم، فهى أيضــا مشــكلة كل زمان ومكان، عندما تتراجع القيم الإيجابية: مراودة النجاح السهل، وإيثار التسلق على أكتاف الآخرين!.

-٩-

(أنا إنسان بسيط صريح .. زادى من الصبر والإيمان يكفى مائة رجل. كل شئ أصبح عادياً بالنســبة لى. عودت نفســى ألا يحطمنى شــئ: لا الفشــل يحطمنى..ولا النجاح يحطمنى. لا الألم ولا اللذة.. لا الحيرة ولا وضوح الطريق).

يصــل عبد اللطيــف أبو رجيلة بكلماتــه الســابقة إلى أعماق الحكمة الصــافية التى تجعله متوافقاً مع الحياة، راضــياً عن نفسه وعمله ومســيرته وعطائه، قادراً على التكيف والصمود، زاهداً فى الشكوى والاحتجاج السلبى العبثى الذى لايعنى شيئاً.

التربية الذاتية الصــارمة تقوده إلى الجوهر الذى يتجاوز كل شئ مادى محسوس، فالنجاح والفشل وجهان لعملة واحدة، والألم ضرورى كاللذة والحيرة العاصفة مثل اليقين المستقر.

أن تـردد الكلمات التى يقولها أبو رجيلة دون تجربـة مماثلة، قد يعنى رؤية هروبية مدمرة، أمـا أن تقول الكلمات نفسـها وأنت تعتلى القمـة ناجحاً متحققاً، فهذا معنـى مختلف تماماً، وإيمان راسـخ قوى لا تقوى عليه الزلازل والبراكين، وقدرة على التوازن النفسـى تجسـد خلاصـة السـعادة والوعى بماهية العالم الذى نعيشه.

-١٠-

(أتوقع كل شـئ فى الحياة.. فإذا جاءت الحياة بأشـيائها الكثيرة.. فإنها تصـطدم برجل غارق فى اللامبالاة).

اللامبالاة هنا مرادف للترفع القوى الواثق، وليد الخبرة والحكمة والإدراك الشامل لمسيرة الحياة الإنسانية بكل ما تحفل به من الغرائب.

رجـل الأعمال الناجـح مطالب بإدراك طبيعة العالم الذى يعيش فيه، ومطالب أيضـا بتوقع المتغيرات الجذرية العاتية التى قد تقع بلا سـابق إنذار أو تمهيد. إذا لم يكن مسلحاً بالوعى والهدوء ستعصـف به الزوابع، ويعانى من الارتباك والاضطراب، وتأتى ردود أفعاله عشوائية انفعالية تغوص به فى بحور الرمال المتحركة، فلا يجد خلاصاً أو نجاة.

لا مهـرب من هذا المأزق الخطير إلا بالتهيؤ لكل غريب مثير بعيد عن التوقع، وتربية النفس على المواجهة القوية للشـدائد والأهوال، والتسـلح بما يسـميه أبو رجيلة بـ"اللامبالاة"، يعنى بذلك وعياً كامناً جاهزاً للانطلاق عند ظهور الحاجة إليه.

-١١-

(أنت تنتصر على الحياة إذا حصنت نفسك ضد التأثر السريع. عندئذ تحز أنت فى الحياة وتهزمها، بدلاً من أن تحز فيك الحياة وتهزمك!. تلك حكمة حياتى).

تحذير واضـح سـريع من خطورة التورط فى عملية الانفعال غير المدروس، فالانتصار على الحياة لن يكون بالمناطحة العنيدة، بل بالمواجهة الهادئة. الحياة أقوى من الأحياء، فهى تسـتمر بعد رحيلهم، ولاتتوقف عند هزائمهم، ولا يتغير مسارها بسقوط أحد.

المبـاراة غـير متكافئة بطبيعـة الحال، والدفاع المنظـم وحده هو الذى يقود إلى انتصـار لا يحققه الهجوم العشوائى الملئ بالطيش والحماس الزائف.

الانتصار على الحياة رهين الوعى بقوانينها وتفاعلاتها، والقدرة على التعامل الصحيح مع معطياتها وإفرازاتها، وتجنب الاحتكاك الانتحارى المندفع بقوة متفوقة بما يتجاوز فكرة المقارنة.

حكمة من عبد اللطيف أبو رجيلة أن يصـعد ويهبط بلا ألم، وأن ينهض من جديد كلما تعثر وسـقط. يسأله الصحفى صلاح منتصر: " لو صـحوت يوماً من النوم ووجدت نفسك على الحديدة .. فماذا تفعل ؟ "، ويجيب الرجل بلا تردد : " أقول لك ولنفسـى : هذه ثانى مرة تحدث لى .. وأبدأ من جديد " .

-١٢-

(إننى أفضل أن أكون رياضياً محموداً وليس غنياً محسوداً).

لماذا يحسـد الناس أصـحاب الملايين؟! . سـؤال يتردد كثيراً، ويجيب عنه عبد اللطيف أبو رجيلة قائلاً : " لأن المال له بريق ولمعان .. ولو عرف الناس مسـئولية صـاحب المال لما حسدوه . وشئ آخر، الذين يحسدون المليونير هم المتعطلون وحدهم " .

المنشغلون بالعمل لا يجدون متسعاً من الوقت للحسد، أما المتبطلون فلا عمل لهم إلا التشهير بمن يعملون. بكلماته هذه يضع الرجل تحديداً لا يحتمل المزيد من التعليق، فهو ليس متهماً لأنه غنى، والأعداء الذين يخوضون المعارك الوهمية ليسوا إلا مرضى بالتعطل وإهدار الطاقة.

الرياضـة هى المتعة الأسمى فى حياة أبو رجيلة، فهو يشعر بروعة الفوز فى ميدان الرياضة قدر ما يشعر به فى ميدان الأعمال ودنيا الأرقام. أعطى الكثير للرياضة والرياضيين، ليس بحثاً عن الشهرة والشعبية وتسول المديح، بل لأنه يستمتع بالمنافسة الشريفة التى تخلو من الغل والكراهية.

وقصته مع نادى الزمالك برهان لا يكذب على الحب والعطاء بلا حدود.

الفصل الخامس

الزمالك

-١-

فى العام ١٩١١، تأسس نادى الزمالك باسم نادى " قصر النيل"، ثم تغير الاسم فى السنة التالية إلى " المختلط"، وفى سنة ١٩٤١، حمل اسم "فاروق"، وبعد ثورة ٢٣يوليو استقر على اسمه الحالى.

من الأخطاء الشائعة الفادحة أن النادى الأهلى هو المرتبط وحده بالحركة الوطنية المصرية، فى مقابل نادى الزمالك ذى النشأة الأجنبية والولاء شبه المزدوج! يتغافل من يرددون هذه المقولة المغلوطة عن حقيقة أن الرئيس الأول للنادى الأهلى كان الانجليزى ميتشيل أنس، وأن طبيعة العلاقة بين المصريين والأجانب، قبل قرن من الآن، لم يكن قوامها القطيعة الكاملة أو العراك والخصومة الدائمة، بلا تعايش أو تعاون.

كان الأولى بمن يسعون إلى تشويه تاريخ القلعة البيضاء أن يركزوا جهودهم للكشف عن أسرار وخبايا معركة التمصير التى خاضها الرعيل الأول من أبناء النادى، حتى جعلوا منه مؤسسة رياضة مصرية وطنية خالصة، يستوعب عضوية غير المصريين على أرضية أنهم ضيوف لا حقوق لهم فى القيادة والإدارة.

بعد سنوات قليلة من التأسيس، قاد المصريون من أبناء النادى العريق معركة أشبه بالملحمة، أسفرت فى النهاية عن انتخاب مجلس إدارة يرأسه الدكتور محمد بدر باشا، بوكالة مصطفى حسن، وعضوية نيقولا عرقجى ومحمود بسيونى وحسين فوزى وعبده الجبلاوى، أما أمين الصندوق فكان إبراهيم علام.

على أكتاف هؤلاء، وغيرهم من الرواد الذين ساندوهم، اكتمل انخراط الزمالك فى منظومة الرياضة المصرية، نادياً رائداً وطنياً، قادراً على استيعاب الشباب وتغذية الأبدان والأرواح معاً.

أى منطق يدفع إلى التركيز على بداية مؤقتة لم تطل، والإهمال الكامل لمسيرة الإصلاح السريع وتغيير المسار؟!.

-٢-

كان البلچيكى مرزباخ أول رئيس لنادى الزمالك، وفى فترة رئاسته تأسس أول فريق للعبة كرة القدم، أما الرئيس الحالى فهو ممدوح عباس، وبينهما لا يظهر إلا اسم اجنبى واحد تولى الرئاسة بعد مزرباخ، بيانكى، ثم قائمة من المصريين أصحاب المكانة الرفيعة فى المجتمع: محمد بدر، محمد حيدر، محمود شوقى، عبد الحميد الشواربى، عبد اللطيف أبو رجيلة، علوى الجزار، حسن عامر، توفيق الخشن، محمد حسن حلمى، حسن أبو الفتوح، نور الدالى، جلال إبراهيم، كمال درويش، مرتضى منصور، مرسى عطاالله.

تولى هؤلاء جميعاً منصب الرئيس لفترات متباينة، وإذا كان الفريق محمد باشا حيدر هو صاحب الفترة الأطول، التى امتدت ثلاثين عاماً على وجة التقريب، فإن عبد اللطيف أبو رجيلة هو صاحب البصمة الأكثر أهمية.

لم يكن استمرار محمد حيدر فى رئاسة النادى ممكناً بعد ثورة يوليو، فالرجل من أركان ورموز العهد البائد، وعجز الرئيس البديل محمود شوقى عن منافسة رئيس الأهلى أحمد عبود، ذى الثروة الطائلة والقدرة على الإنفاق، أما الشواربى فقد استمر شهوراً قليلة قبل أن يتخلى عن المنصب، مؤثراً التركيز على نشاطه الاقتصادى. كان عبد اللطيف أبو رجيلة هو القادر على مواجهة أحمد عبود فى الأهلى، وفى ظل رئاسة أبو رجيلة فاز الزمالك ببطولة الدورى العام للمرة الأولى فى تاريخه، واستحق عن جدارة أن يكون أحد القطبين الكبيرين على ساحة الرياضة المصرية.

-٣-

العلاقة وثيقة بين الرياضة والاقتصاد، ولرجال المال والأعمال والاستثمار باع طويل فى تاريخ الأندية المصرية الجماهيرية، الأهلى والزمالك والإسماعيلى والمصرى والترسانة والاتحاد السكندرى، ذلك أنهم قادرون على العطاء، ومؤهلون للدعم والتمويل، وناجحون فى الإدارة والعمل المنظم الهادف إلى النجاح والإنجاز.

تجربة أحمد عبود مع الأهلى، فى النصف الثانى من الأربعينيات وطوال فترة الخمسينيات، برهان ساطع على الدور الإيجابى الذى يمكن أن يقوم به رجال الاقتصاد الأكفاء فى خدمة الرياضة

المصــرية، وتجربة أبو رجيلة مــع الزمالك لا تقل أهمية ونجاحاً. أتيحت لعبــود فترة أطول، لاُتقارن بالعامين اللذين ترأس فيها أبو رجيلة نادى الزمالك، وفى المقابل لم يكن المهندس عبود من ممارسى الرياضــة، أما عبد اللطيف أبو رجيلة فقد كان مولعاً بألعاب شــتى منذ صباه وشبابه المبكر، واستمر عشقه للرياضة حتى اليوم الأخير فى حياته.

زاول أبــو رجيلة رياضــات كثــيرة، فلعب كرة القــدم أثناء فترة إقامته فى الســودان، وجمع بين لعبتى كرة القدم والتنس خلال ســنى الدراســة فى المدرســة الســعيدية الثانوية، وفى الســنوات الطوال التى قضاها فى إيطاليا عشق لعبة الجولف، وشارك فى كثير من سباقات السيارات والزوارق البحريــة واليخوت، وفاز بكأس بطولة اليخوت فى عامى ١٩٥٤ و ١٩٥٥، وحاز أيضــاً على علم البحر الأبيض المتوسط فى صيد السمك، متفوقاً على أبطال ٨ دول شاركت فى المسابقة التى نظمتها مدينة كورســيكا سنة ١٩٥٤. وفضلاً عن هذا النشاط الجم على المســتوى الشخصى، كان أبو رجيلة رئيس الاتحاد المصرى لكرة السلة فى الخمسينيات.

من المنطقى أن ينشــغل الاقتصــادى الكبير بأعماله المتنوعة، التى تشــغل معظم وقته، لكن سـجله الرياضــى حافل بما يجعل منه رياضــياً حقيقياً ذا خبرة ودراية وعلم، فلا يشعر الرياضيون تجاهه بجفوة أو غربة.

- ٤ -

تولى عبد اللطيف أبو رجيلة رئاســة مجلس إدارة نــادى الزمالك بين عامى ١٩٥٩ و ١٩٦١، وكان المجلس الذى يقوده يضم معه الرئيس السابق محمود شوقى نائباً، ويوسف العجرودى وإسماعيل شــاكر وكيلين، ومحمد حســن حلمى سكرتيراً عاماً، وحسين لبيب أميناً للصندوق، أما الأعضاء فهم توفيــق الطحاوى ورزق لطفى وســعد الدين متولى وعادل الأزهرى وعبــد المنعم وهبى ومحمد لطيف ومحمود إمام ومحمود حافظ.

بعــد أيام من توليه رئاســة النــادى، أعلــن أبو رجيلة أن المقر الجديــد للنادى فى ميت عقبة ســينتهى خلال العام نفســه، وأكد أن ســعة المدرجات فى المرحلة الأولى قادرة على استيعاب ثلاثين ألف متفرج، على أن تصــل طاقتها الاســتيعابية فى المرحلة الثانية إلى أكثر من خمسين ألف، كما أن بناء الدور الأول من المقر الاجتماعى، لخدمة الأعضاء، سيلحق به الدور الثانى سريعاً.

لم تكن رئاســة الاقتصادى الكبير للنادى بحثاً عن الشــهرة والوجاهة والمكانة الاجتماعية، فهو يملك ذلك كله، لكنه الطموح إلى البناء والتشييد والإنجاز على المستويين الرياضى والاجتماعى. التكلفة لايستهان بها، والموارد محدودة، والدعم الذى تقدمه الحكومة لا يكفى لتحقيق كل الطموحات، ولذلــك تكفل أبو رجيلة بدفع أكثر من نصــف التكاليف المقدرة، وكان أسـلوبه فـى التمويل أنموذجاً جديراً بالتأمل، فهو درس فى الاستثمار الذكى والبراعة المتكئة على الوعى بأن المسألة ليست فى المنح والهبات والتبرعات، لكنها فى امتلاك المنهج القادر على التفاعل والتواصل.

- ٥ -

شركتان كبيرتان من شركات البترول فى مصر كانتا تتنافسان على توريد البنزين والسولار لأسـطول سـيارات الأتوبيس الذى يملكه عبـد اللطيف أبو رجيلـة، ولدعم نـادى الزمالك فى ثورته الإنشـائية اتصـل أبو رجيلة بقيادات الشركتين مطالباً بتخفيض مناسـب فى أسعار توريد البنزين، ولأنه الزبون الأكثر أهمية، فقد نجح سـريعاً فى الحصـول على خصـم قدره خمسين مليماً فى سعر اللتر، وتحولت حصيلة هذه الملاليم إلى عشرة آلاف جنيه، بأسعار نهاية الخمسينيات، خصصها أبو رجيلة بالكامل لبناء مدرجات الدرجة الثالثة فى ملعب كرة القدم، وهذه المدرجات هى التى امتلأت عن آخرها فى مباراة الكرة التاريخية عند الافتتاح الرسـمى للملعب، وكان طرفاها الزمالك ودغلا براج التشيكى.

مؤسسـة الزمالك الرياضـية ملك للوطـن، مع تبدل العهود والأنظمـة، ولم تتكلف الحكومة القائمة آنذاك مليماً واحداً فى تشييد الصرح الجديد العملاق، ذلك أن الملاليم التى دبرها أبو رجيلة بمهارته هى التى شيدت. كانت أرصدته الشخصية فى البنوك تكفى للتمويل دون عناء، لكنه يأبى إلا أن يضرب المثل فى فن تدبير الموارد، فأين هو ممن يستثمرون الأندية لخدمة مصالحهم؟!.

- ٦ -

لم يكن عبد اللطيف أبو رجيلة، الاقتصادى الكبير وابن البلد العفوى، مبالغاً عندما قال فى حديث صحفى مع مجلة "المصور"، نشر فى السادس من مارس سنة ١٩٥٩، إن كرة القدم هى أهم شئ فى حياته، وإنها ما بقى له من مسرات الحياة.

كان الرجل صادقاً، وفى سلوكه ما ينم عن حبه الحقيقى للكرة والزمالك. لم يكن له أولاد، فاتخذ من اللاعبين أولاداً له، ولم يبخل عليهم بمعسكرات الإعداد قبل المباريات المهمة، والمكافآت المجزية بعد تحقيق الانتصارات. شهدت عزبته على مشارف القاهرة استضافته لهم فى مناسبات شتى، ولا ينسى لاعبو الخمسينيات أنه أحضر هدية الزواج للاعب يكن حسين من أيطاليا، وأنه أغدق على الكثيرين منهم بالوظائف والمعونات اللائقة.

فى حديث مع لاعب الزمالك الشهير محمد رفاعى، الملقب بالظهير الطائر، نشرته مجلة " الأهرام الرياضى "، أبريل ٢٠٠٣، قال اللاعب القديم : " بعد أن حصل الزمالك على بطولتى الدورى والكأس فى موسم ١٩٥٩ – ١٩٦٠، جمعنا عبد اللطيف أبو رجيلة على حفل شاى، ومنح كل لاعب وقتها مكافأة قدرها ٢٥ جنيهاً، والمشكلة أن أبو رجيلة قبل هذا الموسم كان قد تعرض للتأميم من الرئيس جمال عبد الناصر ".

الأمر إذن صادر عن حب حقيقى ولا يقترن بالثروة الطائلة وحدها، فعبد اللطيف أبو رجيلة يمنح ويحتفل بعد التأميم، بكل ما يصاحبه من مشاعر القلق والتوتر وغياب الاستقرار، ولا يتراجع دعمه لضائقة يمر بها.

كان إمبراطور النقل عاشقاً للزمالك بلا حدود، وبعيداً فى الوقت نفسه عن التعصب المرذول الذى يجافى الروح الرياضية الحقيقية. الأمر عنده منافسة شريفة مشروعة، يتمنى فيها النصر بطبيعة الحال، لكنه لا ينكسر عند الهزيمة، وبفضل نشأته الرياضية واتساع أفقه، كان يبشر بأفكار بالغة الأهمية لا يؤخذ بها، فمنذ نهاية الخمسينيات وهو يدعو إلى الاحتراف الصحيح كوسيلة للنهضة الرياضية: " أرى من واجبى أن أوفر أكبر عدد ممكن من اللاعبين الممتازين للنادى الذى يهمنى أمره، وذلك بشتى الطرق الممكنة، ولا غضاضة عندى إذا سعيت إلى تطعيم نادينا بالعناصر القوية الصالحة. أنا شخصياً أؤيد الاحتراف، وأعتقد أنه من مصلحة اللعبة أن تتعاون الأندية وتتضافر جهودها مع الشركات، حتى يسير الاحتراف بخطوات واسعة ".

وعن العلاقة بين الدولة والرياضة، يقول أبو رجيلة : " لا أعتقد أن الأندية الرياضية فى مصر، بالنظر إلى دخولها وحصيلتها المتواضعة من اشتراكات أعضائها، تستطيع القيام بالتزاماتها المالية دون الإعانة التى تساعدها بها الحكومة ".

بعد نصف قرن من كلماته هذه، لا يتوقف الحديث عن ضرورة الاحتراف الحقيقى، وعن أهمية ألا تكون الأندية الرياضية الكبرى عبئاً على الدولة؛ الاحتراف فى الرياضة يعنى استثماراً مربحاً على الصعيدين المادى والمعنوى، وفض الاشتباك بين الدولة والأندية مطلب لم يتحقق بعد. الرياضة فى جوهرها متعة واستثمار ناجح قوامه الإدارة العلمية، وأمثال عبد اللطيف أبو رجيلة هم المؤهلون للقيادة الرشيدة الواعية.

-٧-

كان عبد اللطيف أبو رجيلة من أغنى أغنياء مصر فى الخمسينيات، إن لم يكن أغناهم على الإطلاق، لكن الحلم الذى كان يداعبه طويلاً هو أن يعود مزارعاً مثل أبيه وجده، وأن يتفرغ لإدارة نادى الزمالك باحثاً معه عن مزيد من الإنجازات والانتصارات.

أطاحت قرارات التأميم بالاقتصادى الوطنى الكبير، ولم يعد بقاؤه فى مصر ممكناً أو مجدياً. غادر إلى إيطاليا من جديد،لكن الزمالك لم يبرح قلبه، فهو يتابع أخباره عن بعد، ويسعد بانتصاراته وبطولاته. عند عودته إلى مصر فى النصف الثانى من السبعينيات، كان الرجل العاشق للزمالك على مشارف السبعين، ولم يكن فى برنامجه أن يستقر فى القاهرة، ولذلك لم يفكر فى العودة لإدارة ناديه، قانعاً بالعطاء الذى لم يتوقف.

تحول عبد اللطيف أبو رجيلة إلى رمز لا ينسى فى تاريخ القلعة البيضاء، وحظى فى سنواته الأخيرة بتقدير وحب الملايين من عشاق الزمالك. صحيح أن الأغلب الأعم من هؤلاء لم يعاصروا رئاسته، وربما لا يعرفون الكثير عن تفاصيل إنجازاته ونجاحاته، لكنهم يدركون أنه تفانى فى حب ناديهم، وفى تقديم الخدمات له، ولم يكن له من مأرب أو هدف إلا أن يسعد المشجعون فينتشى بسعادتهم.

خاتمة

-١-

الشـائع فى الأغلب الأعم من الكتابات التى تتناول التاريخ الاقتصـادى المصـرى بعد يوليو سنة ١٩٥٢ ، أن الثورة قد راهنت على مشاركة الرأسمالية فى تفعيل عملية التنمية، وأن الرأسماليين بأنانيتهم وضـيق أفقهم هم الذين خذلوا ونكصـوا وتراجعوا عن المشـاركة، ومن ثم كان التوجه إلى التصفية عبر قرارات التأميم وفرض الحراسة، رد فعل لا فعلاً .

يتغافـل مثل هـذا التحليل عن مراعـاة المخاوف المنطقية المـبررة التى انتابت الرأسـمالية بقطاعاتها المختلفة، لإدراكها أن نظام الحكم لا يخفى حذره، ولا يصـنع المناخ المناسـب للاستثمار. وليس أدل على ذلـك من جملة القـرارات والقوانين المقيدة للحركة، التى تضـمنت إبعاداً سياسـياً لكثير من العناصـر الرأسـمالية لمجـرد أنهم رأسـماليون. وقد جاء فى خطـاب للرئيس جمال عبد الناصر، ديسمبر ١٩٥٧ ، ما نصه: " إننا لا نريد أن نقضى على الرأسمالية ولكن نرى من واجبنا أن نراقبها" ، ويضـيف الرئيس أنه يرغب أن " يحل محل النظام الاقتصـادى الاسـتغلالى والاحتكارى نظام اقتصادى اشتراكى ديمقراطى تعاونى" .

وبصـرف النظر عن صـعوبة الاستيعاب الكامل والواضـح لملامح هذا النظام " الاشتراكى الديمقراطى التعاونى" ، فإن فكرة " مراقبة" النشـاط الاقتصـادى، دون تحديد معايير واضـحة، تمثل دافعاً لنمو فكرة الخوف، بكل ما يترتب على ذلك من قلق واضطراب وافتقاد للاستقرار.

-٢-

يختلف الاقتصـاد الكبير عبد اللطيف أبو رجيلة عن غيره من رموز الرأسـمالية المصـرية بعد ثورة ١٩٥٢ . ليس لأنه الأصـغر سناً فحسب، بل لأنه أيضاً لا يمكن أن يُحسب على النظام السابق للثورة، وكانت إقامته الدائمة فى إيطاليا.

سـجله خال من الشوائب السياسـية، ولم يكن قدومه إلى مصر إلا نتيجة إلحاح بعض قادة النظـام الجديـد، الذين يعرفون كفاءته ويقرون بوطنيته. وخلال سـنوات عمله فى مرفق حيوى بالغ الأهمية والخطورة، برهن الرجل على فاعلية الدور الذى يقوم به، وكشف عملياً عن رغبته الصادقة فى التوسع الإيجابى الذى يضيف إلى الثروة الوطنية. شفافيته جديرة بالاحترام، وبراعته فى الإدارة

والقيادة لا تحتاج إلى دليل، وإخلاصه فى العمل مشهود به، لكن هذا كله لم يشفع له، وتم وضعه فى سلة واحدة مع الجميع، دون تمييز بين صالح وطالح، وهو ما يؤكد أن النية لم تكن خالصة أو صادقة فى التعاون مع الرأسماليين الجادين الوطنيين، وأن القرارات الاقتصادية التى تم اتخاذها جاءت لتغير آلية كاملة، دون تفكير فى تقييمها وفق معايير محددة.

لم تكن ثروة عبد اللطيف أبو رجيلة سراً مخبوءاً، وكان صادقاً وهو يعلن عن تفاصيلها فى رسالة يتحمل بشجاعة مسئولية ما جاء فيها، فضلاً عن أن أرباحه المشروعة كانت خاضعة للقوانين الضرائبية المعمول بها، دون شبهة تحايل أو تهرب.

-٣-

الوطن باق والأفراد زائلون، وفى هذا السياق يمكن التول إن خسارة فادحة قد لحقت بمصر ومسيرة الاقتصاد الوطنى بالضربة التى طالت عبد اللطيف أبو رجيلة وغيره من كبار المستثمرين. لم ينته الرجل على المستوى الشخصى، فقد وجد متسعاً للعمل والنجاح فى بلدان أخرى، لكن التدهور الذى أصاب مرفق النقل الداخلى فى القاهرة، كان دليلاً على أن إزاحته لم تحقق تقدماً فى خدمة حيوية تتعلق بملايين الناس فى حياتهم اليومية.

لقد مثلت مشكلة المواصلات هماً دائماً منذ مطلع الستينيات، ومع تعدد الدراسات والبحوث للوصول إلى الأسباب والجذور وسبل المواجهة، فقد كان الإجماع على أن الإدارة السيئة تمثل عنصراً أساسياً فى الفشل والتدهور، وأن العلاج يتطلب رؤية استراتيجية علمية تقوم على الانضباط والدقة والأخذ بالأساليب العصرية. كان ذلك كله منهج عبد اللطيف أبو رجيلة، الاقتصادى الذى قدم أنموذجاً فريداً فى الإدارة الواعية، وكانت إمبراطورية الأتوبيس التى يملكها ويديرها عنواناً على النجاح والالتزام.

لم تكن تجربة عبد اللطيف أبو رجيلة كابوساً مزعجاً يستدعى التأميم، ولم يكن البديل الذى جاء بعده وردياً منعشاً، فالحقيقة الراسخة تشير إلى أن الأمور قد تدهورت إلى الأسوأ، ووجد فنانو الكاريكاتور فى الواقع الجديد مادة خصبة للسخرية والنقد، ولم تفلح الشعارات الإنشائية فى تجميل الصورة.

- ٤ -

الدرس الأكبر المستفاد من تجربة عبد اللطيف أبو رجيلة يتمثل فى ضرورة الثقة بالعاملين الجادين، وألا يكون التمسح بالكلمات الفضفاضة تعويضاً عن الإخفاق فى تقديم خدمة متميزة.

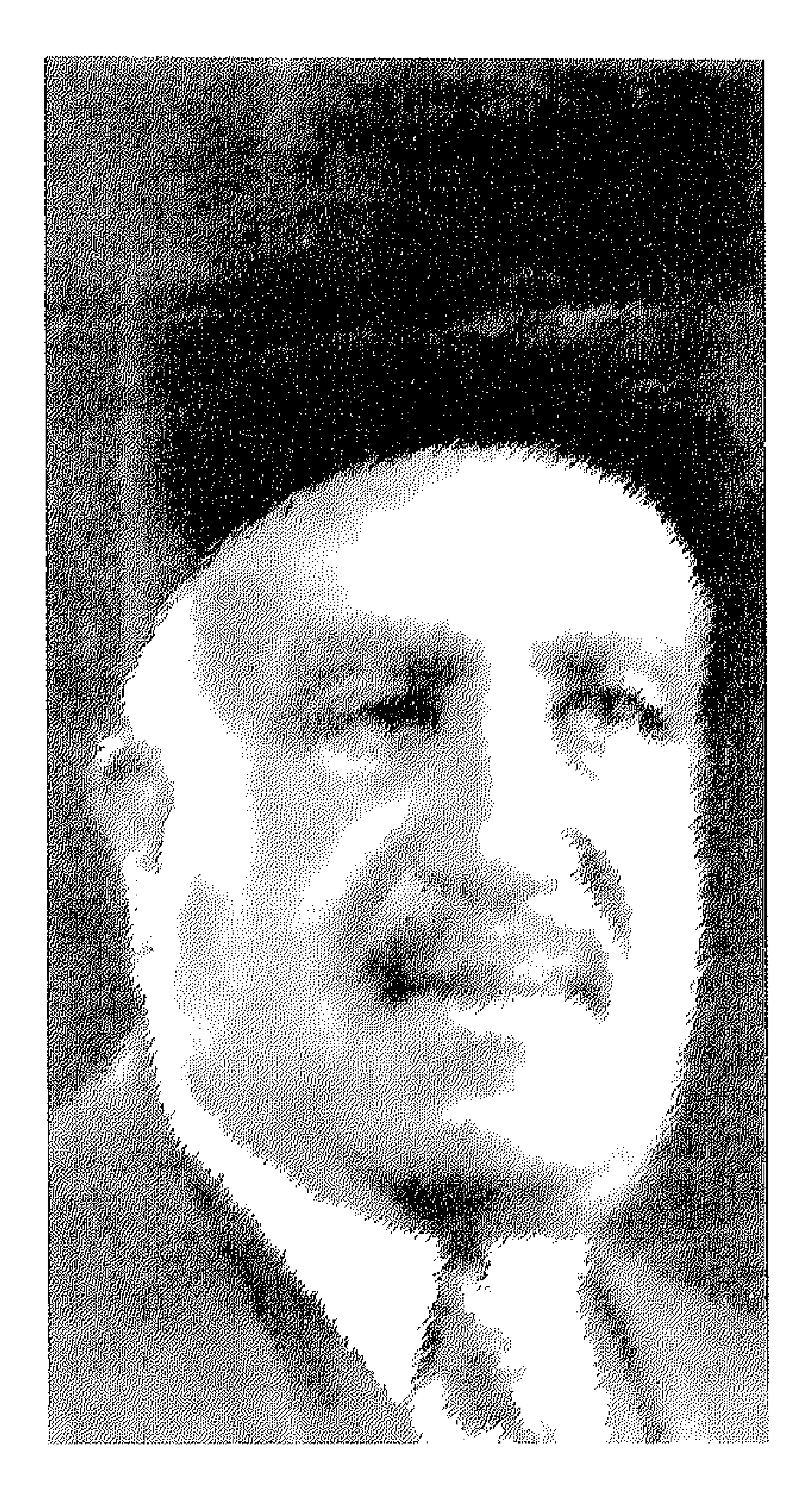
لقد امتد العمر بالاقتصادى الكبير ليعود إلى مصر بعد سنوات من إبعاده، وشهد بعينيه ما وصلت إليه الفوضى المرورية فى كافة الجوانب. لم يكن ساخراً أو مبالغاً عندما قال إن أزمة المواصلات فى القاهرة يمكن أن تحل قبل أن ينتهى من فنجان قهوته، فهو يدلل على ذلك بمجموعة من النصائح والتوصيات، التى تتجاوز الازدحام والكثافة السكانية، فيطالب بإعمال القانون والأخذ بسياسة الثواب والعقاب والاهتمام بالصيانة والتدريب والاستعانة بالخبراء من أصحاب الكفاءة.

.... لكن أحداً لم يستمع إليه !.

ملحق الصور

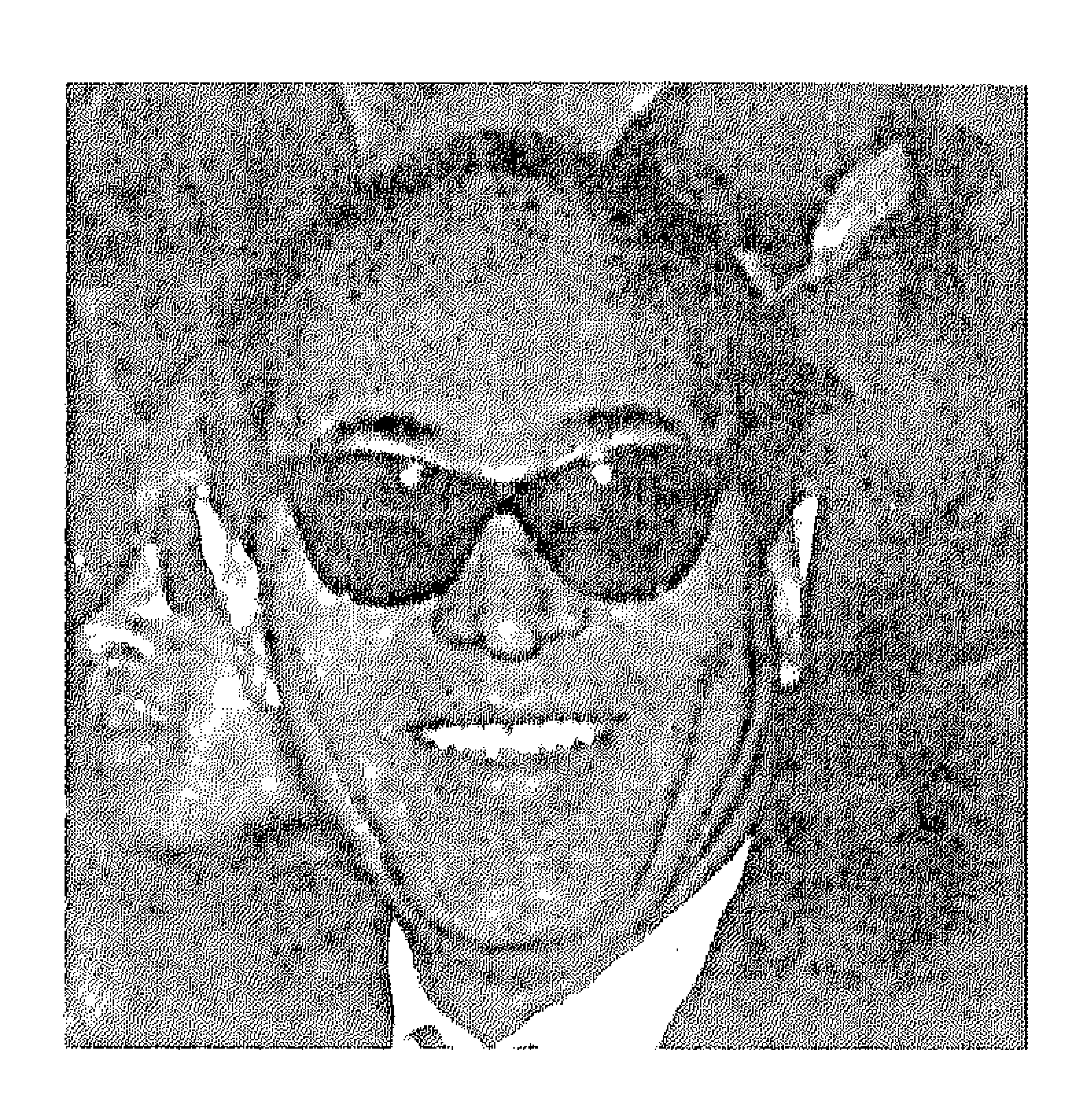


فلسفة الإدارة

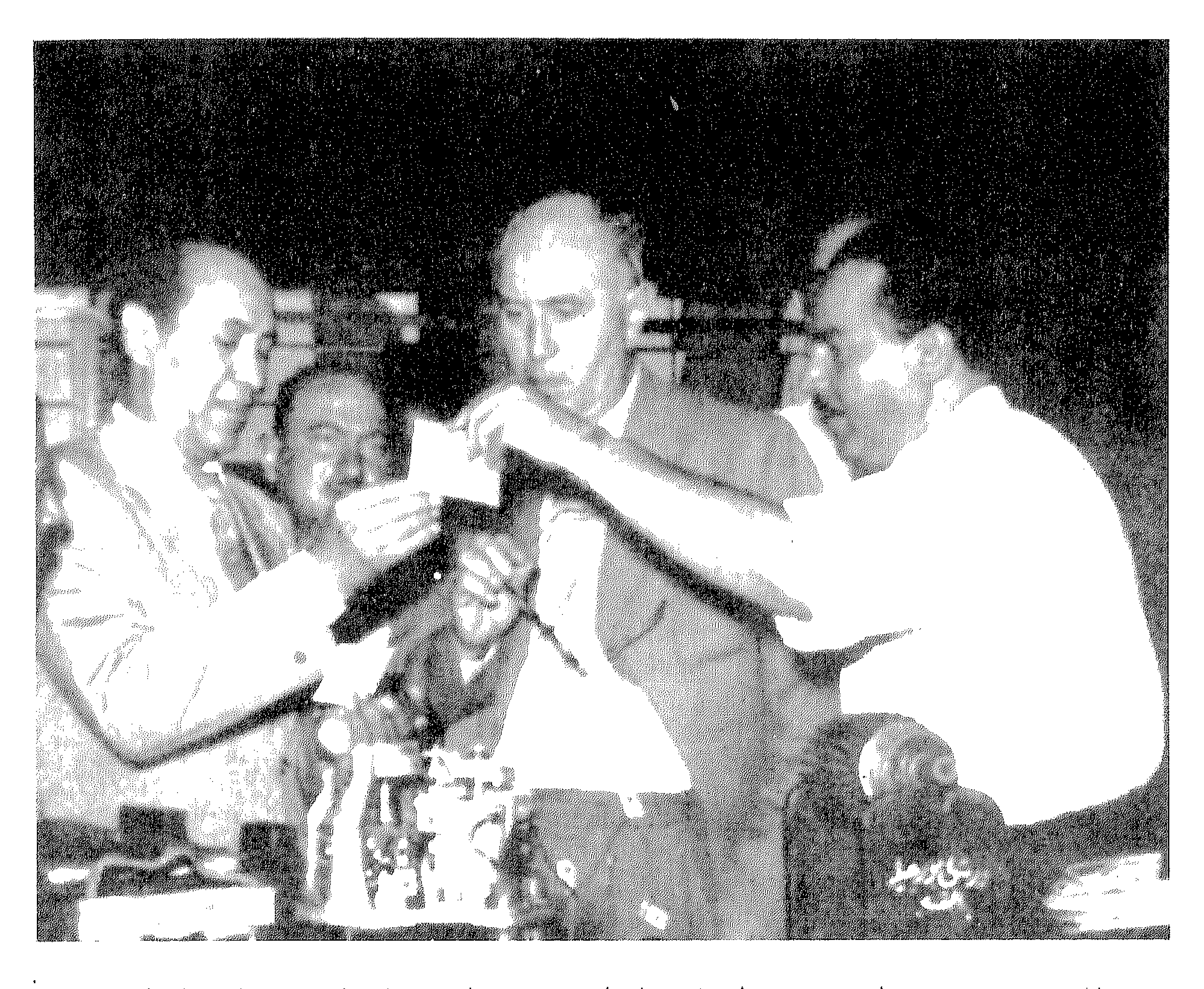


طلعت حرب

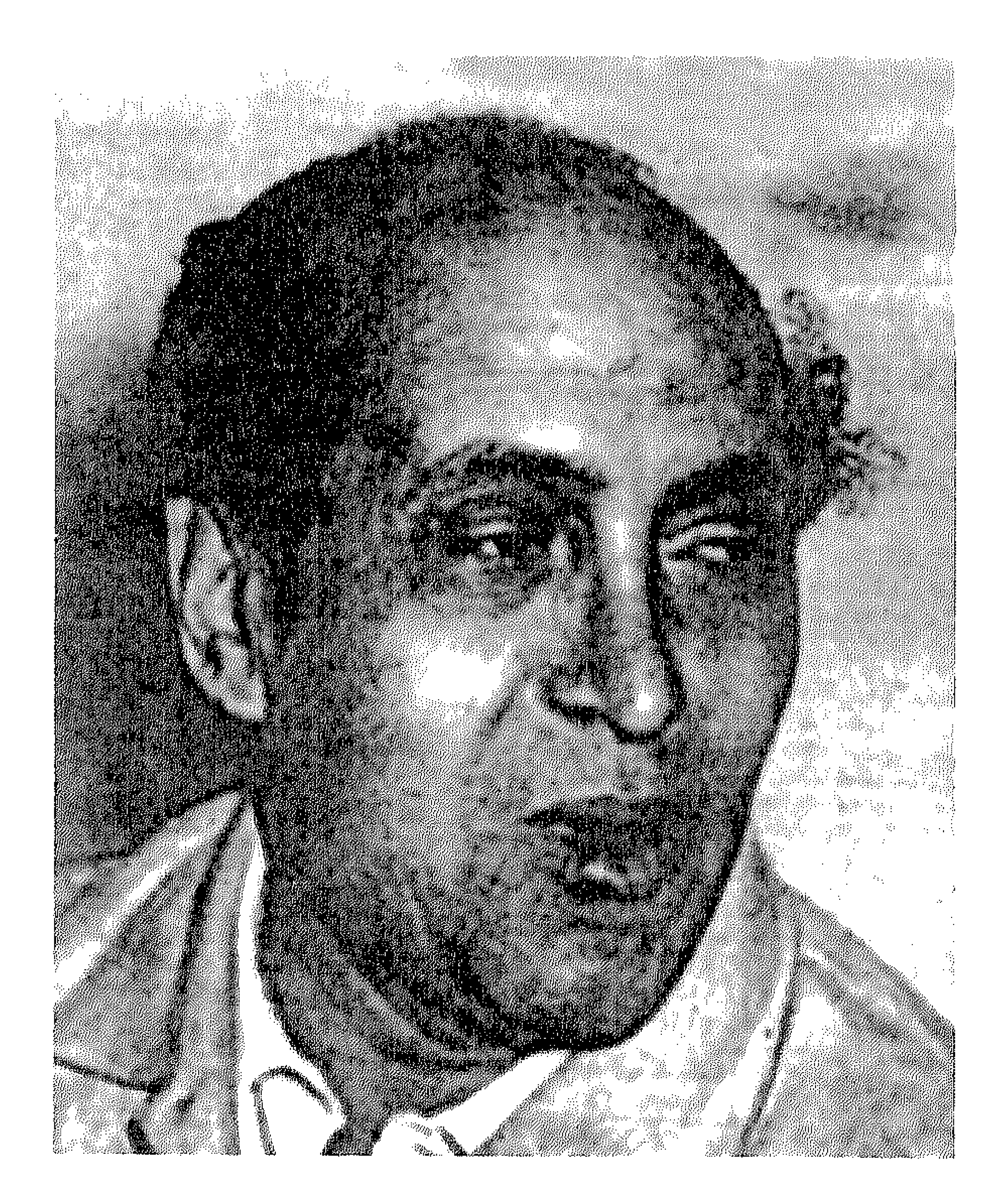
فى مدرسته تخرج عبد اللطيف أبو رجيلة



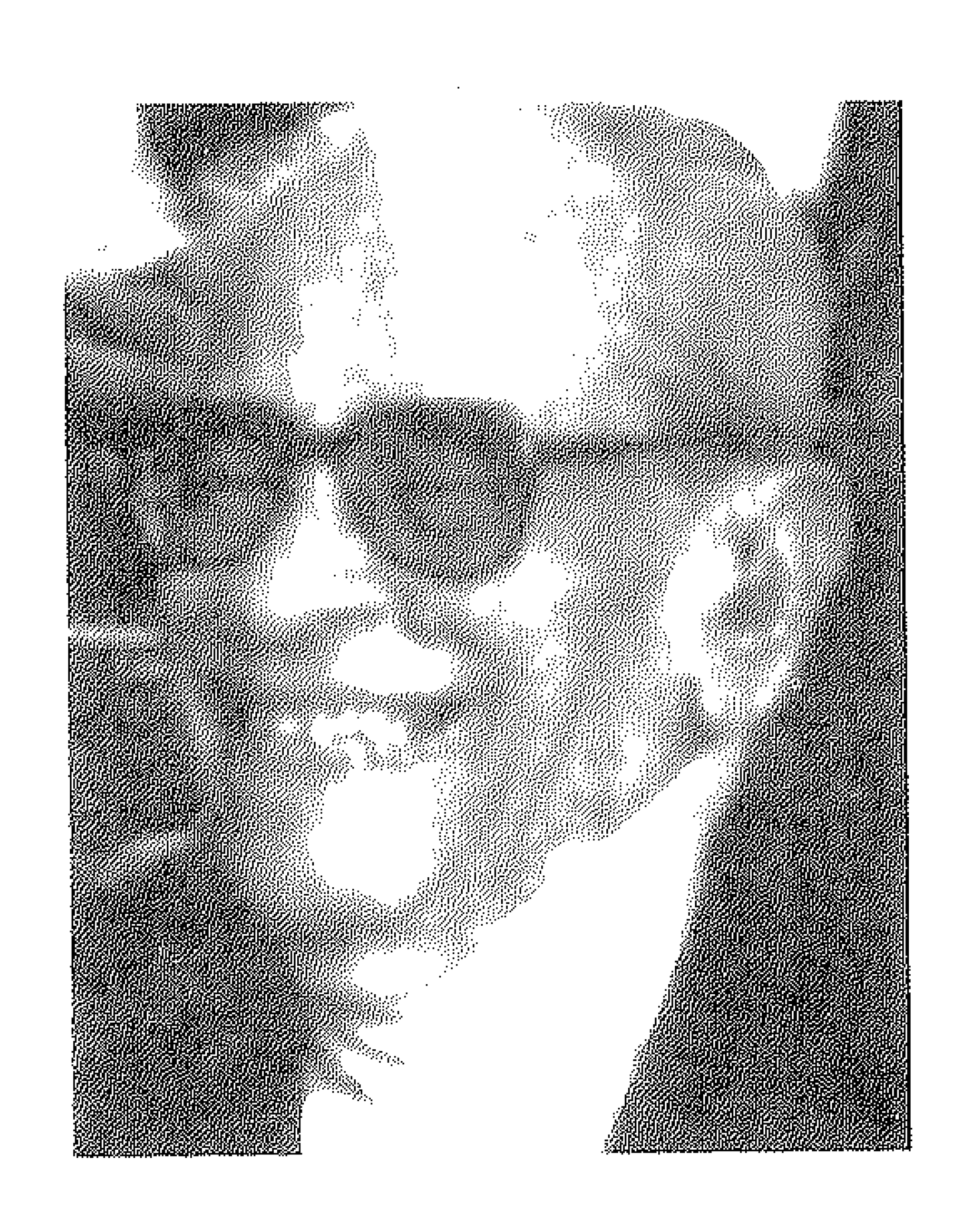
تفاؤل ومرح



المهندس محمود رياض مدير عام بلدية القاهرة يتفقد الورش الخاصة بخطوط القاهرة
وإلى يمينه عبد اللطيف أبو رجيلة مدير خطوط القاهرة



ابن البلد

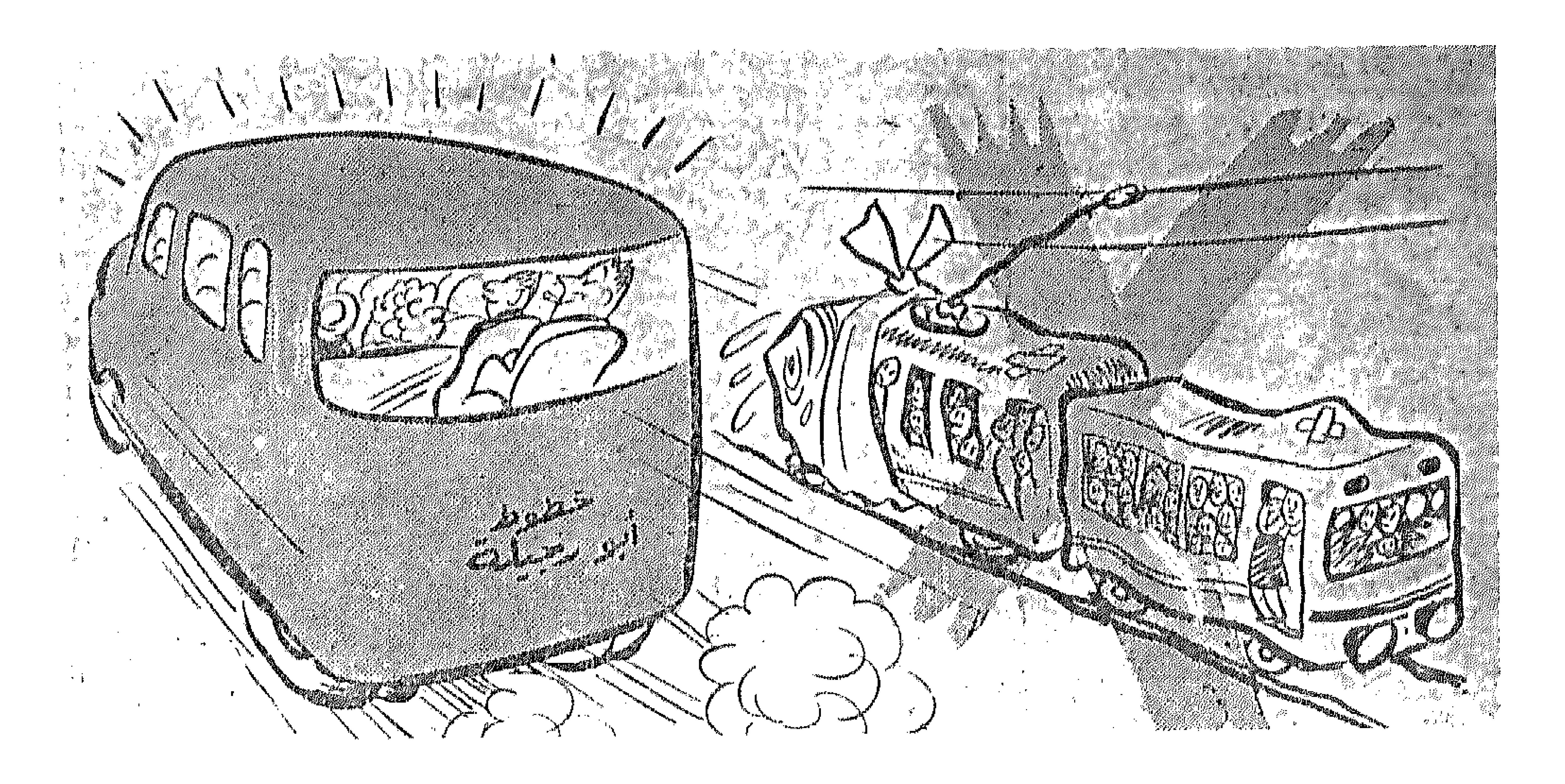


نجيب محفوظ

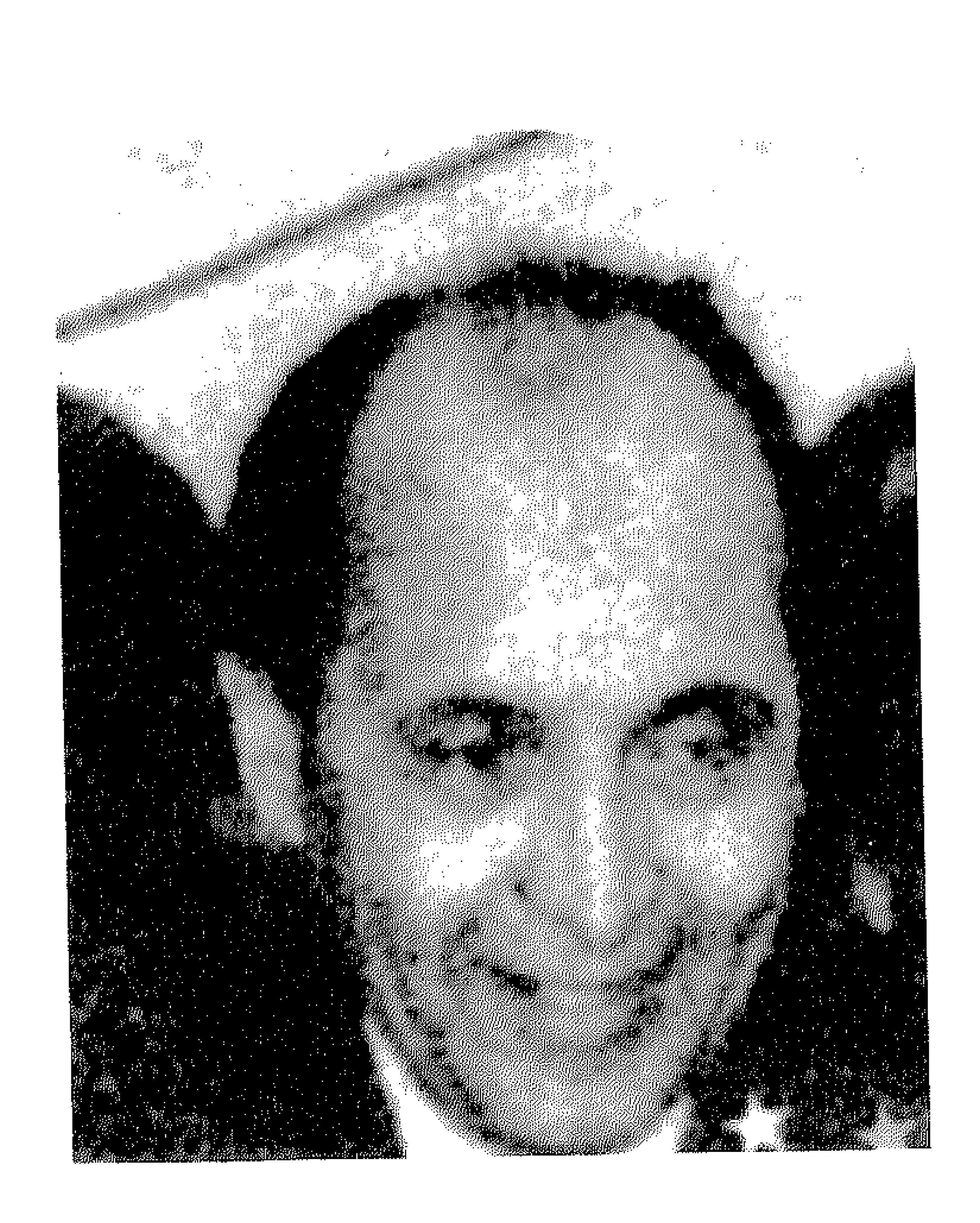
شهادة عن المواصلات



فترة نقاهة



هناك فرق



عاشق العمل والنجاح



المشير عبد الحكيم عامر يحيى الجماهير قبل لقاء مصر مع تركيا باستاد الزمالك
وبجواره عبد اللطيف أبو رجيلة واللواء يوسف العجرودى وحسن حلمى


أنا... كما لا يعرفني الناس
تزوجت "لندا" لأنها
ايطالية صعيدية
عبد اللطيف ابو رجيلة



عاشق الكرة



عبد اللطيف ابو رجيلة كانت المواصـلات فى ايامه لا تشكل اى مشكلة .. الاتوبيسات كثيرة والصيانة ممتازة والمواعيد مضبوطة ..

القاهرة في ٢٦ أغسطس سنة ١٩٥٧

ـــ(اقرار)ـــ

بما انني سبق أن تقدمت الى السلطات المختصة في ايطاليا بطلب تحويل ايراداتي الى مصر ولكن هذه السلطات رفضت هذا الطلب بحجة انني لم أقم باستيراد باقي المبالغ المطلوبة لي من وزارة الحربية والناشئة عن العقود التي ابرمتها معها بشأن استيراد اسلحة من ايطاليا والتي كنت ممولا فيها .

وبما انني قد أخذت السعي للموافقة على اجراء هذا التحويل في صورة بضائع أقوم بتصديرها الى مصر وقد تمت فعلا باستيراد ماكينات لاعمال الطرق في حدود مبلغ خمسة وثلاثين الف جنيه في عام ١٩٥٥ . وما زلت اسعى لاتمام هذا التحويل في صورة بضائع على نطاق أوسع وقدمت بذلك طلبا الى السلطات الايطالية والمصرية لاستيراد بضائع في حدود مائة الف جنيه بدون مقابل .

وبما انني سبق أن اثبت في اقرارات الضريبة على الايراد العام ايراداتي في الخارج .

واظهارا لتعاوني الكامل . فاني اقرر بموجب هذا انني على استعداد لتحويل جميع ايراداتي في ايطاليا الى مصر . واذا لم ينجح مسعاي في ذلك فاني سأطلب من السلطات المصرية معاونتي لدى السلطات الايطالية للحصول على هذا التحويل .

عبد اللطيف ابو رجيله

المحتويات

ملاحظـــــات :

بين ثورتى ١٩١٩ و ١٩٥٢، شهد الاقتصاد المصرى بداية النهضة، مقترنة بالجهود الخلاقة التى بذلها طلعت حرب من خلال مشروعاته العملاقة، فضلاً عن عدد من الرموز والأعلام الذين أسهموا فى اقتحام مجالات الصناعة والتشييد والتجارة، وامتد نشاطهم إلى كافة مناحى الحركة الاقتصادية.

مجموعة الكتيبات هذه لا تعتمد على التحليل الاقتصادى وحده، بل إنها تطمح إلى تقديم ما يشبه "البورتريه" المكثف، وتسعى إلى إذابة الجليد الذى طُمرت سجلاتهم تحته، وتهيئة القارئ الذى يجهل هؤلاء الرواد لتقبل فكرة إعادة النظر فى جملة الثوابت التى شاعت عنهم بلا دليل، وهيمنت دون تعقل، وأسفرت عن أحكام ظالمة تجافى المنطق.

التاريخ الاقتصادى المصرى حلقات متصلة، ولا معنى للبحث عن مستقبل أفضل بمعزل عن إدراك معطيات الماضى ومتطلبات الحاضر، فالمسألة ليست صراعاً بين المراحل المتتالية، قدر ما هى تكاملية تعبر عن الامتداد، وتستثمر التجارب للنهوض وتجنب التعثر والارتباك.



LMDC

مركز إعداد القادة لإدارة الأعمال
وزارة الاستثمار
تقاطع شارع سالم سالم وشارع عبد العظيم راشد - العجوزة - الجيزة - ج.م.ع
تليفون: ٣٣٣٧٧٧٣١ - ٣٧٦٠٠٤٠٤ فاكس: ٣٧٤٩٤١٢٥ - ٣٧٦٠٩٣٤٢
الموقع الإلكترونى: www.Lmdc.gov.eg